ذكر قصة آدم عليه السلام(١)

اختلفوا لِمَ سمي آدم على قولين:

أحدهما: أنه خُلِقَ من أديم الأرض وهو وجهها، قاله ابن مسعود(٢)، وزيد بن ثابت، ورواه سعيد بن جبير، عن ابن عباس(٣).

والثاني: أنه مشتقٌّ من الأُدْمة، وهي سمرة اللون، رواه مجاهد، عن ابن عباس.

وذكر أبو إسحاق الثعلبي: أنَّ التراب بلسان العبريَّة يقال له: آدام.

وقال الجوهري: آدم أبو البشر(٤). وآدم اسم عربي، وليس بعجمي.

قرأت على شيخنا أبي اليُمن الكندي رحمه الله قال: قرأت على شيخنا أبي منصور ابن الجواليقي في كتاب «المعرب» قال: أسماء الأنبياء كلها أعجميَّة، إلا أربعة وهي: آدم، وصالح، وشعيب، ومحمد ﷺ(٥).

والمشهور من كنيته أنه: أبو البشر، وروى الوَالِبي، عن ابن عباس أنه قال: كنيته أبو محمد، وقال قتادة: ولا يكنى في الجنة إلا آدم، يقال له: يا أبا محمد، إظهاراً لشرف نبيِّنا ﷺ(٦).

ولا ينصرف آدم. وقال سهل بن عبدالله التُّستَري: أَلِفُهُ من الآفة، وداله من الدَّاء، وميمه من الموت.

وقيل: إنَّ الله تعالى ذكرَهُ في القرآن في سبعةٍ وعشرين موضعاً.

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» ١/ ٨٩-١٦٤، و«البدء والتاريخ» ٢/ ٧٤، و«عرائس المجالس» ص٢٦- ٥٠ و«تاريخ دمشق» ٢/ ٦١٣-٦٥٦، و«المنتظم» ١/ ١٩٨-٢٢٨، و«الكامل» ١/ ٢٧-٥٣، و«البداية والنهاية» ١/ ٦٨-٩٩.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٦، وابن الجوزي في «المنتظم» ١/ ١٩٨-١٩٩.

(٣) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ٩٠-٩١، وانظر «المنتظم» ١/ ١٩٨.

(٤) «الصحاح»: (أدم).

(٥) «المعرب» ص٦١.

(٦) أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٤/ ١٣٦٨، وهو حديث باطل فيما ذكر ابن عدي وانظر «البداية والنهاية» ١/ ٩٧.

فصل في إعلام الله تعالى الملائكة بخلقه

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة: ٣٠] واختلفوا في الملائكة الذين قال لهم هذا على قولين: أحدهما: أنَّهم جميع الملائكة، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أنهم الملائكة الذين كانوا مع إبليس في الأرض خاصة، قاله مجاهد. والأول أصح.

واختلف العلماء في المقصود بإعلام الملائكة بخلقه على أقوال:

أحدها: أنَّ الله أراد أن يبلو طاعة الملائكة، وهو أعلم بهم، قاله الحسن البصري.

والثاني: أنَّه أراد إظهار ما في باطن إبليس من الكبر والحسد، وكان ذلك قد خفي عن الملائكة، لما يرون من تعبُّده واجتهاده وتواضعه، رواه العَوْفي عن ابن عباس.

والثالث: أنَّ الملائكة ظنَّت أنه لا يَخلق خلقاً أكرم منهم، فأخبرهم بوجود غيرهم ليوطِّنوا نفوسهم على العزل، قاله مجاهد.

والرابع: أنَّه أراد تعظيم آدم بالخلافة قبل وجوده ليعَظِّموه إذا وجد، قاله الرَّبيع بن أنس.

والخامس: أنَّه لما خلق النَّار جزعت الملائكة وقالوا: يا ربَّنا، لمن هذه؟ قال: لمن عصاني، قالوا: أَوَيأتي علينا زمان نعصيك فيه؟ فأخبرهم أنه يخلق لها من يعصيه، فاطمأنُّوا، قاله زيد بن أسلم(١).

والسادس: لأنَّه أراد إظهار عجزهم عن ما يعلم، لأنهم قاسوا على من كان قبل آدم، قاله مقاتل.

والسابع: أنَّه أعلمهم بما يكون في المستقبل، ليعلموا علمه بالحوادث، قاله الوَالِبي.

والثامن: أنَّ الملائكة لما طردت المفسدين من الأرض، أقاموا يعبدون الله، وذلك قبل خلق آدم، فأخبرهم أنه جاعل في الأرض خليفة غيرهم، قاله مقاتل بن حيَّان.

---

(١) في «زاد المسير» ١/٥٩، و«التبصرة» ١/١٢: ابن زيد.

والتاسع: أنَّه أعلمهم أنه يسكن آدم الأرض، وإن كان ابتداء خلقه في الجنَّة، قاله السُّدي[(١)].

والعاشر: أنَّه خبرٌ أخبرهم به، وليس بمشورة. وهو أجود.

وقيل: إنَّ فيه إشارة إلى إخراج هذا الخليفة من الجنَّة بذنبه قبل أن يسكنها، فدلَّ على أنَّ الكلَّ بقضائه وقدره، قاله أهل المعاني.

وروى مجاهد عن ابن عباس بمعناه، فإنَّه قال: أخرج الله آدم من الجنَّة بذنبه قبل أن يُسكنه إيَّاها، ولو لم يرد إخراجه لما نوَّه بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

فصل في الخليفة

قال علماء اللغة: الخليفة هو القائم مقام غيره، فهو خَلَف عمَّن تقدمه.

وقال الجوهري: ويقال: خلَفَ فلان فلاناً إذا كان خليفته، يقال: خلفه في قومه خلافة، ومنه قوله: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [الأعراف:١٤٢] قال: والخليفة السلطان الأعظم[(٢)].

وقيل: إنَّ الله تعالى ذكر خمسة نفر بالخلافة: آدم في هذه الآية، وداود ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً﴾[ص:٢٦]، وهارون ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾، وصلحاء هذه الأمة ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[النور:٥٥]، وصلحاء الأمم ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾[النمل:٦٢].

وفي معنى خلافة آدم قولان: أحدهما: أنه خليفة عن الله في إقامة شرعه، روي عن ابن مسعود وابن عباس[(٣)].

والثاني: أنه خلفٌ عمَّن تقدَّمه في الأرض قبله، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً[(٤)]. والأوّل أظهر، لأن آدم كان بهذه المثابة.

(١) إلى هنا مستمد من «التبصرة» ١/ ١٢.

(٢) «الصحاح»: (خلف).

(٣) انظر «تفسير» الطبري ١/ ٢٠٠، و«زاد المسير» ١/ ٦٠، و«التبصرة» ١/ ١٣.

(٤) انظر «تفسير» الطبري ١/ ١٩٩، و«زاد المسير» ١/ ٦٠، و«التبصرة» ١/ ١٣.

قال أبو إسحاق الثعلبي: سأل عمر بن الخطاب ﷺ طلحة والزبير وسلمان الفارسي وكعب الأحبار، فقال: أخليفة أنا أو ملك؟ فقال طلحة والزبير: ما ندري، وقال سلمان: الخليفة الذي يعدل في الرّعيّة، ويَقسِمُ بينهم بالسَّوية، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله، ويقضي بينهم بكتاب الله[1]. وفي رواية: إن جَبَيتَ من أرض المسلمين درهماً ووضعته في غير حقِّه فأنت ملك ولست بخليفة، فبكى عمر، فقال كعب: ما كنت أحسب أنَّ في المجلس من يعرف الخليفةَ من الملك غيري، ولكن الله تعالى ألهم سلمان حكماً وعلماً[2].

قوله تعالى: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾[البقرة: ٣٠] الآية. فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه استفهام إنكار، وتقديره: كيف تفعل هذا وهو لا يليق بالحكمة؟ وروى يحيى بن أبي كثير عن أبيه قال: الذين قالوا هذا كانوا عشرة آلاف ملك، فأرسل الله عليهم ناراً فأحرقتهم.

فإن قيل: فهلَّا أحرق إبليس لما خالف؟ قلنا: لما سبق في الأزل من امتحان بني آدم وقوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾[الأعراف: ١٥] وقال قتادة: غضب الله عليهم فطافوا بالعرش سبع سنين يقولون: لبَّيك اللهم لبَّيك، اعتذاراً إليك، فتاب الله عليهم، فذلك بدء التلبية.

والثَّاني: أنَّه استفهام إيجابٍ، تقديره: ستجعل، كقول جرير:

ألستم خيرَ من رِكِب المطايا[3]

أي أنتم، قال: أبو عبيدة.

والثالث: أنه استفهام استعلام.

ثم في مرادهم بذلك أقوال:

أحدها: أنَّهم استفهموا وجه الحكمة، فكأنهم قالوا: كيف يعصونك وقد

(١) أورد الخبر السيوطي في «الدر المنثور» ٥/ ٣٠٦، وعزاه للثعلبي.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٣٠٦.

(٣) البيت في ديوانه ١/ ٨٩. وتمامه: «وأندى العالمين بطون راح»، وانظر «مجاز القرآن» ١/ ٣٥-٣٦.

استخلفتَهم، وإنَّما ينبغي أن يسبِّحوا كما نسبِّح نحن.

والثاني: أنهم قالوه تعجُّباً من استخلاف من يُفسد.

والثالث: أنهم استفهموا عن حال أنفسهم، وتقديره: أتجعل فيها من يفسد ونحن نسبِّح أم لا، ذكره ابن الأنباري والحسين بن الفضل[1]. ونظيره: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾[الزمر: ٩] ومعناه: كمن ليس بقانت.

فإن قيل: فكيف قطعوا على بني آدم بالفساد وما رأوهم، وذِكرُ الغائبِ غِيبةٌ، وهل علموا الغَيب حتَّى قالوا ذلك؟ فالجواب من وجوه:

أحدها: ما روي عن ابن عباس أنه قال: لمّا قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قالوا: وما يكون من ذلك الخليفة؟ قال: ذريَّة يفسدون في الأرض ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضاً، فقالوا عند ذلك: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ﴾.

والثاني: أنهم قاسوا على من تقدَّمهم من الجنِّ الذين أفسدوا في الأرض، فقاسوا بالشاهد على الغائب.

والثالث: كان لهم علم التجربة وعلم الفراسة والظنّ فتحقّق ظنّهم.

والرابع: أنَّه لما أخبرهم بوجود هذا الخليفة وأنه مخلوق من الطَّبائع الأربع المختلفة، والهوى والغضب إنما يثوران من الحرارة، والهوى يفسد والغضب يسفك، فحكموا بذلك.

والمراد بالفساد العمل بالمعاصي. وسفك الدم صبُّه وإراقته، والتسبيح: التنزيه لله من كل سوء، والتقديس: التطهير، والمعنى: ننزّهك ونعظِّمك[2].

قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٣٠]. واختلفوا فيه على أقوال:

أحدها: إني أعلم أنه سيكون من ذريته أنبياء وعلماء صالحون، قاله ابن عباس.

والثاني: أعلم أنه سيكون من ذريته من يُذنب فيتوب فأغفر له، قاله مقاتل.

---

(١) انظر «التبصرة» ١/ ١٣.

(٢) انظر «التبصرة» ١/ ١٣-١٤.

والثالث: إنني أعلم بوجوه المصالح في استخلافي إيَّاهم، فلا تعترضوا عليَّ في حكمي وتدبيري، قاله الحسين بن الفضل.

والرابع: إني أعلم أنهم يسفكون الدِّماء ولكن من جور رئيسكم.

فصل في خلق آدم

قال أحمد بن حنبل بإسناده عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله خَلَق آدَمَ من قَبْضَةٍ قَبَضَها مِن جميعِ الأرض فجاءَ بنُوه على قَدرِ ذلك، جاء منهم الأبيضُ والأحمرُ والأسوَدُ وبينَ ذلكَ، والخبيثُ والطيبُ، والسَّهلُ والحَزْنُ وبَينَ ذلك». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[1]. ولهذا اختلفت ألوان بنيه.

وروى عكرمة، عن ابن عباس قال: خلق الله الصالحين من عَذْبها، والكافرين من ملحها. وروي عنه أنه قال: الرُّوم والعرب من الأبيض، والترك من الأحمر، والحبش من الأسود.

وقال أهل المعاني: الكافر من الأسود، والمنافق من الأحمر، والمؤمن من الأبيض. وقيل: الظالم من الأسود، والمقتصد من الأحمر، والسَّابق من الأبيض.

وقال أحمد: بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيرُ يوم طَلَعَت فيه الشَّمسُ يومُ الجمعَةِ، فيه خُلِقَ آدمُ وفيه دَخَلَ الجنَّة، وفيه أُخرِجَ منها، ولا تَقُوم الساعةُ إلَّا في يوم الجمعةِ». انفرد بإخراجه مسلم[2]. هذا قدر ما أخرج في الصحيحين.

وقد روي فيه زيادات من طريق أبي لُبابة بن عبدالمنذر، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سيِّدُ الأيَّامِ يَومُ الجُمعةِ ـ وذكره ـ وفيه ساعةٌ لا يَسألُ اللهَ العبدُ فيها شيئاً إلَّا أعطاهُ إيَّاه، مَا لم يَسألْ إثماً أو قَطِيعَةَ رَحِمٍ، ومَا مِن مَلَكٍ مُقرَّبٍ ولا جَبَلٍ ولا أَرضٍ ولا سماءٍ إلَّا وهو مُشفِقٌ من يَومِ الجُمعةِ أن تقومَ فيه السَّاعةُ، وفيه تُوفِّي آدم[3].

ولمسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «وخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ العَصرِ مِن يومِ الجُمُعةِ آخِرَ

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٥٨٢)، والترمذي (٢٩٥٥).
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده»(٩٤٠٩)، ومسلم (٨٥٤)(١٨).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»(١٥٥٤٨).

الخَلقِ، ما بين العَصرِ إلى اللَّيلِ»(١).

وقال ابن سعد بإسناده عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «النَّاسُ ولدُ آدَمَ، وآدَمُ مِن التُّرَاب»(٢).

واختلفوا فيمن جاء بالطِّين الذي خلق منه آدم على قولين:

أحدهما: إبليس، قاله ابن مسعود(٣) وابن عباس(٤)، قال: ولهذا قال: ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾[الإسراء: ٦١] ومعناه: أنا جئت به، فكيف أسجد له؟

والثاني: ملك الموت، فروى السُّدي، عن أشياخه قال: لما أراد الله أن يخلق آدم بعث جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها يخلق منه آدم، فجاء إليها فناشدته الله وقالت: أعوذُ بالله منك أنْ تنقصني وتشينني وتكونَ سبباً لإدخال جزءٍ مني إلى النار، فرقَّ لها جبريل واستحيى ورجع إلى الله وقال: إنها قالت كذا وكذا، واستعاذت بك فأعذتها، فبعث إليها إسرافيلَ، فاستعاذت منه فأَعاذها، فبعث إليها ميكائيلَ ففعلت كذلك، فبعث إليها ملكَ الموت فقالت له كذلك، واستعاذت بالله منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولا أنفِّذ أوامر ربي، فأخذ من وجهها تربة بيضاء وحمراء وسوداء، ولم يأخذ من مكان واحد بل من عذبها وملحها، فكل شيء أخذه من عذبها صار إلى الجنة، وإن كان ابن كافر، وكل شيء أخذه من ملحها صار إلى النار، وإن كان ابن مؤمن، فلما جاء ملك الموت بالطِّين إلى بين يدي ربِّ العالمين، وأخبره بما قالت، وبما قال لها، قال الله تعالى: وعزَّتي لأسلطنَّك عليها إذْ أطعتني وخالفتها(٥).

ولا يختلفون أنه خُلق يوم الجمعة، في آخر ساعة من ساعات النهار، سادس نَيسان، وقد ذكرناه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٨٩).

(٢) «الطبقات» ١/ ٢٥.

(٣) أخرجه ابن الجوزي في «المنتظم» ١/ ١٩٨-١٩٩.

(٤) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ٩٠-٩١، وانظر «المنتظم» ١/ ١٩٨.

(٥) أخرجه مختصراً الطبري في «تاريخه» ١/ ٩٠-٩١، وفي «التفسير» ١/ ٢٠٣، وهو متلقى عن الإسرائيليات. وانظر عرائس المجالس ٢٧ ـ ٢٨ و«المنتظم» ١/ ١٩٨.

واختلفوا كم أقام مصوَّراً على أقوال: أحدها: أربعين سنة، قاله ابن عباس. والثاني: أربعين ليلة، قاله الضحاك. والثالث: لم يقدَّر بشيء، قاله مقاتل.

والأول أظهر، لوجهين:

أحدهما: لأنها تمام الخلق ومنتهى الأشدِّ، ولهذا لم يبعث الله نبيًّا إلا بعد أربعين سنة، قاله السُّدي.

والثاني: لتدور عليه الأفلاك بالنجوم السبعة المدبِّرات أمراً، فتستحكم أجزاؤه ويكمل خلقه.

وقال بعضهم: أمطر عليه الحزن أربعين سنة، والسرور يوماً واحداً. وقد نصَّ ابن عباس على أربعين سنة فقال: خمَّر الله طينة آدم قبل التصوير أربعين سنة(١).

واختلفوا أين صوَّره؟ قال ابن عباس: في السماء على باب الجنة، المدة التي ذكرها.

وقال السُّدي: ألقاه بين مكة والطائف، فكان إبليس إذا مرَّ به فزع وضربه برجله فيظهر له صوت وصلصلة فيزداد فزعه.

وقال مقاتل: كان يدخل في فيه ويخرج من دبره ويقول: لأمرٍ ما خُلِقت، ولئن فُضِّلت عليَّ لأهلكنَّك.

قال مسلم بن الحجَّاج بإسناده عن أبيِّ بن كعب وأنس، عن النبي ﷺ قال: «لما صَوَّرَ آدَم تَركَهُ ما شاءَ أن يَترُكَهُ، فَجَعلَ إبليسُ يُطِيفُ به وينظُرُ إليه، فلمَّا رَآهُ أجوَفَ عَرَفَ أنَّه خَلقٌ لا يَتمالَك(٢)».

وقد روي أنه وكَّل به ملك الموت أربعين سنة، ثم أربعين سنة، ثم أربعين سنة حتَّى استحكم في مئة وعشرين سنة، فلذلك يقول الأطبَّاء: العمر الطبيعي مئة وعشرون سنة.

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: في موضع: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١] وفي موضع

---

(١) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ٩٢.

(٢) صحيح مسلم (٢٦١١) من حديث أنس، ولم نقف على حديث أبي بن كعب في صحيح مسلم ولا في غيره من المصادر.

آخر: ﴿مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤] ومن ﴿حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]. و﴿مِن تُرَابٍ﴾[آل عمران: ٥٩] فكيف الجمع بين هذه الآيات؟

فالجواب: إن الألفاظ وإن اختلفت فالمعاني قد اتَّفقت، لأنه كان أوَّلاً تراباً ثم صار حَمَأً، ثم جفَّ فصار صلصالاً، والصلصلة: الصوت، كان يُنقر فيطنُّ ويُسمع له صوت، اللَّازب: اللازق، والحمأ المسنون: المتغيِّر المنتن، والسلالة: القليل مما ينسل، وآدم استلّ من الأرضِ.

فإن قيلَ: فلمَ خصَّ التراب بخلقه؟ فالجواب: ليكمل به الاستقصَّات الأربع، فيجتمع فيه الطباع المختلفة. ولم يكن قبله خلق من التراب بل من النَّار والماء والريح. وذكر الحافظ أبو القاسم في «تاريخ دمشق» عن سعيد بن جبير قال: خلق الله آدم من دَحْنَا ومسح ظهره بنَعْمان السحاب[(١)].

وأخرج ابن سعد بمعناه عن ابن جبير، فذكر أرضاً يقال لها: دحنا، لا غير[(٢)].

وقد ذكرنا جبلي نعمان في باب الجبال.

وقال الحافظ أبو القاسم أيضاً: وفي حديث الحسن البصري أنه خلق جُؤجُؤه من نقا ضَرِيَّة[(٣)].

ومعناه: خلق صَدرهُ من رمل ضريَّة، وهي منزل بطريق مكَّة من ناحية البصرة واليمامة.

وكذا روى ابن سعد عن الحسن[(٤)].

والجؤجؤ: الصّدر. وقال الجوهري: ضريَّة قرية لبني كلاب على طريق البصرة، وهي إلى مكة أقرب[(٥)].

وذكر الحافظ أبو القاسم في «تاريخه» عن عليٍّ عليه السلام قال: قال رسول الله

---

(١) تاريخ دمشق ٧/ ٢٨١.

(٢) «الطبقات» ١/ ٢٥-٢٦.

(٣) «تاريخ دمشق» ٧/ ٢٧٩.

(٤) «الطبقات الكبرى»١/ ٢٦

(٥) «الصحاح»(ضري).

ﷺ «أكرمُوا عمَّتَكم النخلة، فإنها خُلقَت منَ الطِّينِ الذي خُلقَ منه آدمُ، وليسَ من الشَّجرِ شيءٌ يلقح غيرها، وأطعِموا نساءَكُم الوُلَّد الرُّطبَ، فإن لم يَكن رُطبٌ فالتمرُ، وليسَ منَ الشَّجرِ أكرَمُ على اللهِ من شَجَرةٍ وُلدَت تحتَها مريمُ بنتُ عمرانَ»

قلت: وقد ذكر جدي هذا الحديث في «الموضوعات» وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ[(١)].

وقال مسلم بإسناده عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلقَتِ الملائكةُ منَ النُّورِ، وخُلقَ الجانُّ من مَارجٍ من نارٍ، وخُلقَ آدم مما وصفْتُ لكُم»[(٢)] أي من التراب.

وحدثنا جدي رحمه الله بإسناده، عن أنس، عن رسول الله ﷺ قال: «نُفخَ في آدمَ الرُّوحُ، فطَارَتْ فصَارَتْ في رأسِه فعَطَسَ، فقال: الحمدُ للهِ، فقال الله عزَّ وجلَّ: يرحمُكَ الله»[(٣)].

وأخرجه ابن سعد عن أبي هريرة قال: فلمّا جرى الروح في خياشيمه عطس، فلقنه الله حمده، فحمد ربه[(٤)].

وقد رواه ابن عباس، وفيه: يرحمك ربّك أبا محمّد. قال مقاتل: وهذا معنى قول رسول الله ﷺ: «كنتُ نبيًّا وآدمُ بين الماءِ والطِّينِ»[(٥)].

وقال سهل بن عبد الله: لما قال له يرحمك الله، علمَ أنَّه سيذنب، لأنَّ الرحمة إنَّما تكون بعد الذنب والزَّلَّة.

وقال السُّدي: لما وصلت الروح إلى عينيه نظر إلى الجنة وما فيها، فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه، فذلك قوله تعالى ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾[الأنبياء: ٣٧][(٦)].

---

(١) «تاريخ دمشق» ٧/ ٢٨٢، «الموضوعات»(٣٨٥).
(٢) صحيح مسلم(٢٩٩٦)
(٣) «التبصرة» ١/ ١٤، وأخرجه أيضاً ابن حبان في «صحيحه» (٦١٦٥)، والضياء في «المختارة»(١٦٦٧)
(٤) «الطبقات الكبرى»١/ ٣١.
(٥) لا أصل له بهذا اللفظ انظر «المصنوع»(٢٣٣) وقد ورد من حديث أبي هريرة عند الترمذي (٣٦٠٩) ولفظه قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد» وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب
(٦) انظر«المنتظم»١/ ٢٠١.

وقال ابن سعد بإسناده عن سلمان الفارسي، أن ابن مسعود قال: خمَّر الله طينةَ آدم أربعين ليلة وأربعين يوماً ثم ضرب بيده فيه فخرج كلُّ طيِّب في يمينه، وخرج كلُّ خبيث في يده الأخرى، ثم خلط بينهما، قال: فمن ثَمَّ يُخرج الحيَّ من الميت والميت من الحيِّ[(١)].

وروى ابن سعد بإسناده عن عبد الصمد بن مغفل، أنه سمع وهب بن منبه يقول: خلق الله ابنَ آدم كما شاء مما شاء، فتبارك الله أحسن الخالقين، خلق من التراب والماء، فمنه لحمه ودمه وشعره وعظامه وجسده كله، فهذا بدءُ الخلق الذي خلق الله منه ابن آدم[(٢)].

وقال ابن عباس: أتته النفخة من قبل رأسه، فجعلت لا تجري في شيء إلّا صار لحماً ودماً[(٣)].

وقال ابن سعد بإسناده قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله خَلَقَ آدم بيدِهِ»[(٤)].

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[الإسراء: ٨٥] فقد رُدَّ العلم إلى الله تعالى.

فالجواب من وجهين:

أَحدهما: أن اليهود أرادوا امتحان النبي ﷺ بذلك، فكان سكوته عن الجواب من أمارات معجزاته، لأنهم قالوا: إن أجاب فليس بنبيٍّ.

والثاني: أنه لا يسعنا أن نقول: إن رسول الله ﷺ لم يعلم سرَّ الروح مع قوله عليه السلام: «فأورَثَني عِلمَ الأوَّلينَ والآخِرينَ»[(٥)] وكان معناه: أنني لا أخبر من ليس بأهل عن هذا السرّ كاليهود، أمّا من هو أهل فنعم.

وقال أحمد بن حنبل: حدثنا عبد الرزاق بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله

---

(١) «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٧.

(٢) «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٧.

(٣) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ٩٥.

(٤) «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٧ من حديث عبد الله بن الحارث.

(٥) لم نقف عليه بهذا اللفظ، ولكن عند أحمد (٣٤٨٤) من حديث طويل: «. . . فعلمت ما في السماوات وما في الأرض . . .» وإسناده ضعيف

ﷺ: «إنَّ الله خَلقَ آدمَ على صُورتِه، طولُه ستُّونَ ذراعاً، وقال له: اذهَبْ فسلِّمْ على أولئك النَّفَر من الملائكةِ وهم جُلُوسٌ، واسمع ما يُحيُّونَكَ، فإنَّها تحيَّةُ ذُريَّتِكَ، فجاء فسَلَّم، فقالوا: وَعليك السَّلامُ ورحمةُ الله، فزادوه: ورحمةُ الله، فكلُّ مَن يَدخُلُ الجنَّةَ على صورةِ آدَمَ وطولِه، فلم يَزَلِ الخَلقُ ينقُصُ بعد ذلك» أخرجاه في «الصحيحين»[١].

وقد تكلَّموا على قوله: «خلق آدم على صورته»، قال قوم: الهاء عائدة إلى آدم، ومعناه: على صورته التي خلقه عليها، ومنهم من حمل الصورة على الصفة، وصفات الله ثابتة من السَّمع والبصر ونحوه.

فإن قيل: فقد ورد في حديث «على صورة الرحمن»[٢] فالجواب: أنه لا تصحُّ هذه الرواية.

وروى مجاهد عن ابن عباس قال: إنَّ عرض آدم كان سبعةَ أذرع، وإنَّ نَفَسه كان يؤذي أهل السماء، وكان رأسه يخطُّ السماء فأورثه ذلك الصَّلع، وإن الله حطَّه إلى ستين ذراعاً[٣].

قلت: هذا قول ضعيف لما ذكرنا من بعد المسافة بين السماء والأرض.

فصل في تعليمه الأسماء

قال الله تعالى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ﴾[البقرة: ٣١] اختلفوا في الذي علَّمه على أقوال:

أحدها: أنها أسماء الملائكة، قاله الربيع بن أنس[٤].

والثاني: أسماء ذريَّته، قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[٥].

والثالث: أنه علَّمه جميع الأسماء، فقال: هذا فرس، وهذه دابَّة، هذه قصعة، هذه قصبة، هذا نعل، هذا كذا، حتى أتى على آخرها، قاله ابن عباس[٦]، وهو الأصح

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٨١٧١)، والبخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٤١) والطبراني في «الكبير» (١٣٥٨٠) من حديث ابن عمر.

(٣) ذكره ابن الجوزي في المنتظم ١/ ٢٠٢ عن مجاهد قوله، وقال عقبه: ليس هذا شيء.

(٤) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ٩٩.

(٥) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ٩٩.

(٦) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ٩٧.

لوجهين: أحدهما لأنَّ لفظه «كل» للعموم. والثاني: ليظهر فضلُ آدم على الملائكة، وفي تعليم البعض نقص.

وقد نصَّ ابن عباس على هذا فقال: علَّمه أسماء الخلق والقرى والمدن والجبال وأسماء الطيور والأشجار وما كان ويكون وكلَّ نسمةٍ الله خالقها إلى يوم القيامة.

وقال الطّبري في «تاريخه»: علَّمه كل شيءٍ حتى الفسوة والضّرطة(١).

قلت: أما كان في مخلوقات الله ما يعبَّر عنه بعبارة تليق بالله إلا هذه العبارة؟!

وقال السُّدي: لما قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قالت الملائكة فيما بينهم: ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أفضل ولا أكرم عليه منا، وإن كان خيراً منا فنحن أعلم منه لأنَّا خلقنا قبله ورأينا مالم يَرَهُ. فلما أُعجبوا بعلمهم وعبادتهم فضَّل عليهم آدم بالعلم فعلَّمه الأسماء كلها. وهذا قول الحسن وقتادة وعامَّة العلماء.

وقال أبو القاسم الورّاق: علَّمه ألف حِرفَةٍ ثم قال له: قل لأولادك إن لم يصبروا فليطلبوا الدنيا بهذه الحرَف ولا يطلبوها بالدِّين، فإنَّ الدِّين خالص، وويلٌ لمن طلب الدنيا بالدِّين(٢).

فإن قيل: فلِمَ قال: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ولم يقل: «عرضها»؟ فالجواب: أنه أراد الشخوصَ المسمَّيات لأنَّ الأعراض لا تعرض، فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أخبروني ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[البقرة: ٣١] وفيه أقوال:

أحدها: أنَّ معناه إن كنتم صادقين أني أخلق خلقاً أعلم منكم وأفضل، قاله الحسن.

والثاني: إن كنتم صادقين أنَّ بني آدم يفسدون ويسفكون، رواه السُّدي عن أشياخه.

والثالث: أنَّ المراد إبليس لأنه قال: إن فضِّلتُ عليه لأهلكنَّه، فتقديره: إن كنت صادقاً أنك تفعل ذلك، فأنبئني بأسماء هؤلاء، قاله مجاهد(٣).

وقال الزَّجاج: معناه: كيف تدَّعون علم مالم تشاهدوه من الحكم على الغيب بالفساد، وأنتم لا تعلمون ما تعاينونه وترونه؟ فحينئذ أقرَّت الملائكة بالعجز فقالوا:

---

(١) «تاريخ الطبري»١/ ٩٧.

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه»٥٧/ ٥ من حديث عطية بن قيس عن النبي ﷺ

(٣) انظر«التبصرة»١/ ١٥.

﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ أي: نزَّهناك، والتسبيح التنزيه لله سبحانه وتعالى من كل سوء ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢] فقد نزَّهناك عن الاعتراض عليك.

فصل في سجود الملائكة لآدم

ثم أمرهم الله بالسجود لآدم بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ [البقرة: ٣٤] قال ابن عباس: لمّا اعترفوا بالعجز أمر الله تعالى آدم بأن يخبرهم بالأسماء، فلما أخبرهم قال: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ يا ملائكتي ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ما كان فيها وما يكون ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ من الطاعة والخضوع لآدم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[البقرة: ٣٣] في أنفسكم له من العداوة.

وقال ابن عباس أيضاً: المراد به إبليس، فإنه كان إذا مرَّ على جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطَّائف يقول لمن معه من الملائكة: أرأيتم إن فضِّلَ عليكم هذا ماذا تصنعون؟ فيقولون: نطيع أمر ربِّنا، فيقول في نفسه: إلا أنا، والله لئن سلِّطتُ عليه لأهلكنَّه، وإن سلِّط عليَّ لأعصينَّه.

واختلفوا في سجودهم لآدم على أقوال:

أحدها: أنه سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة كقوله في قصة يوسف عليه السَّلام ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠]، وكان ذلك تحية للناس وتعظيم بعضهم بعضاً، ولم يكن وضع الوجه على الأرض، إنما كان انحناءً وإيماءً ووضع اليد على الصدر. وأصل السجود الانحناء والميل، يقال: سجَدَت النخلة إذا مالت.

فلمَّا جاء الإسلام أبطل ما كانوا يصنعونه وعوَّضهم بالسَّلام، ولما رَجعَ معاذٌ من اليمن، سَجدَ لرسول الله ﷺ، فتغيَّرَ وَجهُه وقال: «ما هذا يا معاذُ؟» فقال: رأيتُ اليَهودَ يَسجُدونَ لأحبارِهِم، والنَّصارى لرُهبانِهم وقِسِّيسيهم، ففعلتُ مِثلَهم، وأنت أولى، فقال: «مَهْ يا معاذُ، كَذَبوا، إنما السُّجود لله تعالى»[1]. قاله ابن عباس.

(١) أخرجه الحاكم ٤/ ١٧٢ وفيه: «أنهم كذبوا على أنبيائهم كما حرفوا كتابهم، ولو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، من عظيم حقه عليها..»
وأخرجه قريباً منه ابن ماجه (١٨٥٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٤١٧١) وعندهم أنه رأى ذلك في الشام.

والثاني: أنه كان سجوداً على الحقيقة لآدم، قاله مجاهد.

والثالث: أنه جعل آدم قبلةً لهم وسجودهم لله تعالى، كما جُعلت الكعبة قبلةً لصلاة المؤمنين، والصّلاة لله ربِّ العالمين.

وقال ابن مسعود: سجدت الملائكة لآدم، وسجد هو لله تعالى.

وقال أبيُّ بن كعب: معنى سجودهم أنَّهم أقرُّوا لآدم أنه خير وأكرم على الله منهم.

وحدثنا يحيى بن الأَوَاني، بإسناده عن ضمرة بن ربيعة، عن قادم بن مسور قال: قال عمر بن عبد العزيز: لمّا أمر الله الملائكة بالسُّجود لآدم أوَّل من سجد له إسرافيل، فأثابه الله بأن كتب القرآن في جبهته(١).

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤] أي: امتنع وتعظَّم، و«كان» بمعنى صار في علم الله أنه من الذين وجبت عليهم الشقاوة.

وقال السُّدي: لما امتنع إبليس من السجود قال له الله: ما منعك أن تسجد له؟ قال: أنا خير منه. قال: بماذا؟ قال: ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾[الأعراف: ١٢] ألستُ الذي استخلفتني في الأرض، وجعلتني حاكماً عليها وعلى الملائكة، وألبستني الرِّيش، ووشَّحتني بالنور، وتوجتني بالكرامة، وجعلتني خازن السماوات، وعبدتك ثمانين ألف سنة، وكنت من المقرَّبين؟ فقال الله تعالى: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: ﴿فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾[الحجر: ٣٤-٣٥-٣٦-٣٧].

وقال ابن عباس: قال الله له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] منهم من أجراه على ظاهره، ومنهم من قال: يد القدرة. وقال أبو إسحاق الثَّعلبي: بإسناده عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قَرأَ ابنُ آدَمَ السَّجدَةَ وسَجدَ اعتزَلَ الشَّيطانُ يَبكِي ويقُولُ: يا وَيلَهُ أُمِرَ ابنُ آدَمَ بالسُّجُودِ فَسجَدَ، فله الجنَّةُ، وأمِرتُ بالسُّجُود فأبَيتُ فليَ النَّارُ»(٢).

(١) وأخرجه ابن الجوزي في«المنتظم»١/ ٢٠٣، وسلف ص٢١٦ من هذا الجزء.

(٢) أخرجه مسلم(٨١).

وذكر محمد بن عبد الكريم الشّهرستاني في أول كتاب «الملل والنحل» وقال: أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس. قال: وتشعب من هذه الشبهة شبهات، منها أنه قال: قد علمت أنه إلهي وإله الخلق، وقد علم ما يصدر مني قبل خلقي، فلِمَ خَلقني وما الحكمة في خلقي؟ وكونه كلَّفني ما لا منفعة فيه له، فإنه لا تنفعه طاعتي ولا يضره معصيتي، ثم إنه سلَّطني على آدم فأخرجته من الجنّة بقضائه وإرادته فطردني ولعنني، وسألته الإنظار فأنظرني، ثم كان عاقبة أمري ما أنا فيه، ولو سجدت لآدم كان ماذا؟ وإنما له إرادة أراد أن يظهرها، قال: فقال الله تعالى للملائكة: قولوا له لو كنت صادقاً أني إلهك لما اعترضت عليَّ ولا خالفتني، لأني إله العالم، لا أُسأل عمَّا أفعل وهم يسألون(١).

فصل في خلق حوَّاء

قال ابن سعد بإسناده عن عكرمة مولى ابن عباس أنه قال: سُمِّيت حواء لأنها أمُّ كل شيء حي(٢).

وروى عطاء عن ابن عباس قال: لما أسكن الله آدم الجنَّة أقام مدةً فاستوحش، فشكا إلى الله الوحدة، فنام فرأى في منامه امرأة حسناء، ثم انتبه فوجدها جالسةً عنده فقال: مَن أنت؟فقالت: حوَّاء، خلقني الله تعالى لتسكن إليَّ وأسكن إليك(٣).

قال: وخلقت من ضلع آدم، ويقال لها: القُصَيرى. قال الجوهري: القصيرى الضلع التي تلي الشاكلة، وتسمَّى الواهنة في أسفل الأضلاع(٤).

وقال مجاهد: إنما سُمِّيت المرأة مرأة لأنها خلقت من المرء وهو آدم.

وقال مقاتل بن سليمان: نام آدم نومة في الجنة فخلقت حوَّاء من قُصَيْراه من شقِّه الأيمن من غير أن يتألَّم، ولو تألَّم لم يعطف رجل على امرأة أبداً.

---

(١) «الملل والنحل»١/ ١٦-١٨ بشيء من التصرف

(٢) «الطبقات الكبرى»١/ ٣٩-٤٠.

(٣) أخرجه الطبري في «تاريخه»١/ ١٠٣.

(٤) «الصحاح»: (قصر).

وقال ابن عباس: لَأَمَ الله موضعَ الضلع لحماً. ولما رآها آدم قال: أثابثا، وتفسيره بالسُّريانية: امرأة[١].

وأخرجه ابن سعد عن مجاهد قال: ولمَّا خلقت حواء قالت له الملائكة: أتحبها؟ قال: نعم، قالوا لها: أفتحبينه؟ قالت: لا، وفي قلبها أضعاف ما في قلبه منها، فلو صدقت امرأة في حبِّ زوجها لصدقت حوَّاء[٢].

وفي التوراة: فقال آدم: هذه عظام من عظامي ولحم من لحمي ودم من دمي.

قال كعب: ومن أجل ذلك يترك الرجل أُمَّه وأباه ويتبع امرأته

وقال الربيع بن أنس: إنما خلقت حوَّاء من طينة آدم. واحتجَّ بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام: ٢] ولأن الرجل لم يخلق من المرأة، فكذا المرأة لم تخلق من الرجل. والأول أصح، لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩] والمراد به آدم، وخلقت حواء من ضلعه، ولقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[الأنعام: ٩٨].

وذكر مقاتل بن سليمان، في «كتاب المبتدأ» له وقال: لما أراد الله أن يزوِّج حواء من آدم قال: يا آدم لابد من مهر، قال: ياربِّ وما مهرها؟ قال: أن تصلِّي على ولدك محمد ﷺ عشر مرات، فصلى عشراً[٣]، قال مقاتل: فذلك قوله ﷺ: «من صَلَّى عليَّ مَرةً صَلَّى الله عليه عشراً[٤]»

فصل في مقام آدم في الجنَّة

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[البقرة: ٣٥] قال الفرَّاء: أهل نجد يقولون لامرأة الرجل: زوجة، ويجمعونها: زوجات، وهي لغة بني تميم. قال: وأهل الحجاز يقولون لامرأة الرجل: زوج، ويجمعونها: الأزواج[٥].

(١) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ١٠٤-١٠٥.

(٢) لم نقف عليه في «الطبقات»

(٣) انظر «عرائس المجالس»: ٣١.

(٤) أخرجه مسلم (٤٠٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) انظر «زاد المسير» ١/ ٦٥.

وقال الجوهري: زوج المرأة بعلها، وزوج الرجل امرأته. قال الله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[1].

والرَّغد: الرزق الواسع. ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[البقرة: ٣٥] أي: كيف ومتى وأين شئتما.

واختلفوا في الشجرة على أقوال:

أحدها: أنها شجرة البُرِّ، وهي الحنطة، قاله ابن عباس[2].

والثاني: شجرة الكافور، قاله علي رضي الله عنه.

والثالث: الكَرمة، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد[3]، وحكاه ابن سعد، عن جعدة بن هبيرة قال: ولذلك جعلت فتنةً لولده[4].

والرّابع: التين، قاله عطاء والحسن ابن جريج[5].

والخامس: النَّخلة، قاله أبو مالك[6].

والسَّادس: حيُّ العلم[7] ـ وقيل: إنما هي بكسر العين وفتح اللام ـ وهي الحنطة بلغة قيس. وهو الأصح، لأن الحنطة ملائمة لجميع بني آدم. وقد نصَّ على أنها الحنطة عامَّة العلماء.

وقال وهب: هي شجرة الخلد. وهو وهم لأنَّ الله سمّاها بذلك، وإنما الكلام في جنسها[8].

فإن قيل: فلِمَ خصَّ الشجرة المشار إليها بالنهي؟ فالجواب: لأنَّ لها ثُفْلاً، والجنَّة

---

(١) «الصحاح»: (زوج).

(٢) انظر «تفسير الطبري» ١/ ٢٣٢.

(٣) انظر «تفسير» ابن أبي حاتم ١/ ١٢٦، و«تفسير» الطبري ١/ ٢٣٢

(٤) «الطبقات الكبرى» ١/ ٣٤.

(٥) انظر «تفسير» ابن أبي حاتم ١/ ١٢٧، و«زاد المسير» ١/ ٠٦٦.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٢٧، وانظر «زاد المسير» ١/ ٠٦٦.

(٧) كذا هي في (ل)، وفي «المعتمد في الأدوية المفردة» ص١١٤: حي العالم: سمي بهذا الاسم لأنه لا يطرح ورقه في وقت من الأوقات، وهو نبات له قضبان طولها نحو من ذراع وأكثر في غلظ الإبهام، فيها شيء من رطوبة تدبق باليد وهي غضة.

(٨) انظر «زاد المسير» ١/ ٦٦.

لا تحتمل الثفل.

وقال مجاهد: لما أكل منها لعبت معدته فقال له جبريل: أما تستحيي، أين تضع هذا على السُّرر أو على الفرش أو على شواطئ أنهار الجنَّة من رياض المسك والعنبر والكافور والزّعفران؟ ولكن انزلْ إلى دار يصلح أن يكون فيها هذا. قال: وهذا معنى قول علي عليه السلام: الدنيا كنيف يملأ.

وقال النَّضر بن شُميل: إنما أكل آدم من الشجرة لأنه مُنع عنها، والآدميُّ حريص على ما مُنعَ منه.

وقد ذكرها في التوراة فقال: ونصب الله تعالى شجرة الخير والشرِّ، أو شجرة الحياة، وسط الجنَّة، وقال: يا آدم كُلْ ما شئت إلّا منها، فإنك تموت يوم تأكل منها.

وقال الحسن: لم يكن له بدٌّ أن يأكل منها لأنَّه خلق للمقام في الأرض.

فصل في احتيال إبليس على دخول الجنَّة

قال الله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾[البقرة: ٣٦] قال ابن عباس: أي: حملهما على الزَّلَّة. وقرأ الأعمش: فأزالهما[1]، أي: نحّاهما عن الطَّاعة والجنَّة، فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم.

واختلفوا في كيفية دخوله إلى الجنَّة:

قال الحسن البصري: وقف على باب الجنة وناداهما لأنه كان ممنوعاً من دخولها بقوله: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨].

وقال ابن عباس: إنما احتال بطريق الحيَّة وكانت من أحسن الدوابِّ، ولها جناحان كجناحي الطَّاووس، ولون جلدها لون السُّندس والإستبرق، وكانت من خُزَّان الجنَّة تدخل إليها وتخرج، وكانت صديقاً لإبليس، فخرجت ذات يوم فتعرَّض لها وخدعها وقال لها: قد اشتقت إلى الجنَّة، فقالت: أنت مطرود عن الجنَّة، فكيف

(١) وهي قراءة حمزة بألف بعد زاي ولام مخففة. انظر «الحجة» لأبي علي الفارسي ٢/ ١٤، و«إتحاف فضلاء البشر»ص١٧٦.

أُدخِلُكَ إليها؟ قال: وما يضرُّكِ فإني مطرود عنها حيث لم أسجد لآدم، فأدخلِيني لأسجد له لعلَّ الله أن يرضى عنِّي. ففتحت فاها فوثب فقعد على نابٍ من أنيابها. ومرَّت به على الخَزَنة فأنساهم العلم السَّابق والقَدَر المحتوم أن يفتقدوا ناب الحيَّة، فدخلت به. وكان آدم لما رأى نعيم الجنة قال: لو أنَّ لنا خُلداً، فأتاه من قبل الخلد، فجاء فوقف بين يدي آدم وحواء، وهما لايعلمان أنه إبليس، فناح عليهما نياحةً أحزنتهما وبكى، وهو أوَّل من ناح، فقالا له: ما الذي بك وما يبكيك؟ فقال: أبكي عليكما، تموتان وتفارقان هذا النَّعيم. فوقع ذلك في نفوسهما واغتمَّا، ومضى عنهما، ثم جاءهما بعد ذلك فقال: يا آدم: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾[طه: ١٢٠] فقال: إنَّ ربي نهاني عنها، ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ أي: حلف لهما ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] فاغترَّا[(١)].

قال ابن عباس: ما ظنَّ آدم أنَّ أحداً يحلف بالله ويكذب. فبادرت حواء إلى الأكل من الشجرة، ثم ناولت آدم فأكل منها.

وقال مقاتل بن سليمان: قال لهما إبليس: ما نهاكما ربُّكما عن هذه الشجرة إلا حسداً لكما، لأنه علم أنكما متى أكلتما منها علمتما الغيب، وزاحمتماه في ملكه وغيبه.

وقال مجاهد: حلف لهما سبعين يميناً، فذلك قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

وقال مقاتل: فأخذت حوَّاء من الشجرة خمس حبَّات، فأكلت اثنتين وأخفت ثلاثاً، قال: فلذلك صار النساء يسرقن. وفي رواية عنه: أنها أخذت سبع حبَّات، فدفعت إلى آدم حبَّتين، وقالت: إنما أخذت واحدة، فلذلك صار للذكر مثل حظ الأنثيين.

وقال مقاتل أيضاً: تقدَّمت إلى الشجرة فأكلت منها ثم قالت: يا آدم، قد أكلت فلم تضرَّني، فتقدَّم فأكل منها.

---

(١) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ١١٠-١١١، و«عرائس المجالس» ص٣١.

وحكى أبو إسحاق الثعلبي في «تفسيره» عن سعيد بن المسيَّب: أنه كان يحلف بالله لا يستثني أن آدم ما أكل من الشجرة وهو يعقل، ولكن حوَّاء سقته الخمر حتى سكر، ثم قادته إلى الشجرة فأكل منها[١].

قلت: والعجب من حكاية الثعلبي مثل هذا عن سعيد بن المسيَّب، وهو إمام وقته في العلم والزهد والورع والتحرُّز في أقواله عن مثل هذا. ثم قد اتفق العلماء على أنَّ خمر الجنَّة لا يسكر ولا يذهب بالعقول، قال الله تعالى ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩﴾[الواقعة: ١٩] وقال الله تعالى ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾[الطور: ٢٣] وهو السكر، والمراد من الخمر إنما هو حصول اللَّذة المطربة، وذلك حاصل في الجنَّة بدون سكر، فإنه مباح لأهل الجنة مع بقاء عقولهم، وبهذا فارق خمرَ الدنيا.

وإنما اللَّائق بحال آدم أنه إنما أكل متأوِّلاً للكراهة دون التحريم، وذلك قبل النبوَّة، لأنه نهي عن شجرة فأكل من جنسها ظنًّا منه أنَّ المراد غير تلك التي نهي عنها لا التي أكل منها. على أنَّ الله تعالى قد عذره بكونه أكل ناسياً فقال: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ۝١١٥﴾[طه: ١١٥].

فإن قيل: فإن كان آدم تعمَّد، فمعصيته كبيرة، والكبائر لا تجوز على الأنبياء، وإن كان نسي فالنسيان معفوٌّ عنه، فكيف وقعت المؤاخذة؟ فالجواب من وجوه:

أحدها: أنَّ الأنبياء قد أمروا بتجويد التحفظ، ومثل آدم لا يسامح.

والثاني: أنَّه خالف، ومخالف الأمر يعاقب وإن كان ناسياً، فإنَّ من طلَّق امرأته ناسياً أو ساهياً أو هازلاً وقع طلاقه، فالنِّسيان معفوٌّ عنه في رفع الإثم دون المؤاخذة، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «عُفيَ لأمَّتي عنِ الخطأ والنسيانِ وما استُكرِهوا عليه»[٢].

والجواب الثالث: أن بعض العلماء قال: إنه أكل متأوِّلاً للكراهية دون التحريم.

وقال قتادة: لما أَكَلا منها بدَت لهما سوآتهما، وولَّى آدم هارباً يستتر بورق الجنَّة،

(١) «عرائس المجالس» ص٣٣، وانظر «تاريخ الطبري» ١/ ١١١-١١٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢١٩) من حديث ابن عباس.

فناداه الله: يا آدم أفراراً مني؟ قال: لا يا ربِّ، بل حياء منك. فقال: يا آدم اخرج من جواري، فإنَّ من عصاني لا يجاورني في داري. فقال: يا ربّ، هل بعد هذا العتاب رضىً؟ قال: نعم، فقال: الحمد لله[1].

وقال الربيع بن أنس: امتنع من الخروج من الجنة، فجاءه جبريل فجذب بناصيته للإخراج، فقال: بالأمس تسجدُ لي واليوم تسحبُ بناصيتي؟ ارفق بي، فقال: لا أرفق بمن عصى الله.

وذكر في التوراة: قال الله تعالى: يا آدم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها، قال: إنَّ المرأة أطعمتني، وقالت المرأة: إنَّ الحيَّة أطعمتني، يعني أن إبليس كان يخاطبها على لسان الحيَّة وهو قاعد على أنيابها. فقال الله للحيَّة: من أجل فعلك هذا أنت ملعونة، وعلى بطنك تمشين، وتأكلين التراب، وسأغري بينك وبين ولد المرأة فيطأ رأسك وتلدغين عقبه، وقال لآدم: اخرج من مشرق جنة عدن إلى الأرض التي أخذت منها. وقال الله لحوَّاء: أنت غررت الرجلَ، وعزَّتي لأعاقِبنَّك بالحيض والنفاس والولادة ونقصان الشهادة، لا تحملين إلا كرهاً، ولا تضعين إلا كرهاً، ثم مسخ الحيَّة إلى هذه الصورة.

وقال وهب: كان لباس آدم في الجنة الظفر يزداد كلَّ يوم جِدَّة وحسناً، فلما أخرجه من الجنة ألبسه الجلود والصوف. وكان آدم أمرد، فعوقب بإنبات اللحية.

وقال أحمد بن حنبل: حدثنا عبد الرزاق بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «التَقى آدم مُوسى، فقال له مُوسى: أنتَ آدمُ الذي أشقَيْتَ النَّاسَ وأخرَجتَهُم من الجنَّة؟ فقال له آدمُ: أنتَ مُوسى الذي اصطَفَاك اللهُ برسالَتِه وكلامِه وأنزلَ عليكَ التَّوراةَ؟ قال: نعم، قال: أَتلُومُني على أمر كانَ قد كُتبَ عليَّ قبلَ أنْ أفعَلَه، أو: قَبلَ أنْ أُخلَقَ؟ قال: فَحجَّ آدمُ موسى» مرَّتين. أخرجاه في «الصحيحين»[2].

فإن قيل: فلم لم تعاقب حوَّاء قبل آدم عند الأكل؟ فالجواب من وجوه:

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٠٩، وانظر «تاريخ دمشق» ٥٦/ ٣١٨.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٧٣٨٧)، والبخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢).

أحدها: أنها لو عوقبت في حالة الأكل قبل أن يأكل آدم لتوقَّف عن الأكل، فأخطأ علم الله فيه وإرادته وسره الخفي، فلما وافقها ظهر علم الله فيه.

والثاني: لأن حوَّاء كانت ضعيفة فلم تقدر على العقوبة ولم تحتملها، بخلاف آدم بها كان قويّاً.

والثالث: أنها عوقبت في ضمن عقوبة آدم بما يليق بها من الحيض والنِّفاس والولادة وترك الصلاة ونقصان الميراث والعدَّة، وبأنها لا تكون حاكماً بين الناس، ولا تسافر إلا بوليّ، ولا تنعقد بها الجمعة والجماعات، وكونها عورة إلى غير ذلك.

فإن قيل: فآدم وحوَّاء اشتركا في المعصية فلمَ لم تذكر معه في التوبة؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنَّ العرب إذا كان فعل الاثنين واحداً جاز أن يذكر أحدهما ويكون المعنى لهما، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[التوبة: ٦٢] وكقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾[التوبة: ٣٤] ونحو ذلك.

والثاني: فلأن النساء يدخلن في خطاب الرجال على وصف التبعيَّة، لأنهن تبع، فلهذا لم تذكر معه في التوبة، بل قال: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]، وإن كانت هي السبب.

وقد قالت المعتزلة وجهم بن صفوان: إنَّ الجنَّة التي أُسكنها آدم إنما كانت بستاناً من بساتين الدنيا في جزيرة سَرَنديب ، ولهذا يسمَّى آدم السَّرنديبي، واحتجُّوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[الحجر: ٤٨] فمن دخلها يستحيل عليه الخروج منها، ولأنها دار راحة فلا يكون فيها ابتلاء ومحن.

ولنا: أنَّ الله عزَّ وجلَّ وصف الجنَّة التي أُخرج منها آدم بأوصاف لا تكون لبساتين الدنيا، على ما ذكرنا فيما تقدَّم، وأمَّا الآية، فآدم ما دخلها للثواب، ومن دخلها للثواب لا يخرج منها أبداً. ألا ترى أنَّ رضوان وبقيَّة الخُزَّان يدخلونها ويخرجون منها؟ وقولهم: دار راحة، قلنا: ودار تكليف لإجماعنا على أنهم مكلَّفون بها بمعرفة الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[البقرة: ٣٦] الهبوط: هو الحُدور من

علوٍّ إلى سفل، وهذا الخطاب لآدم وحوَّاء وإبليس والحيَّة، لأنَّه ذكرهم بالواو، وهو للجمع، قاله ابن عباس(١).

فإن قيل: فقد كرَّر الهبوط في آخر القصَّة بقوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ﴾[البقرة:٣٨] فما فائدة هذا التكرار؟ فالجواب: إنهم أُهبطوا إهباطين، أحدهما: من الجنة إلى السماء الدنيا، والثاني: من السماء الدنيا إلى الأرض، حكاه أبو صالح عن ابن عباس.

وقال مقاتل: إنما كرَّره لتعظيم الذَّنب، كما يقال للإنسان إذا أذنب ذنباً عظيماً: اخرج، اخرج. فكان تأكيداً في الإخراج.

والمستقَر: موضع القرار، والمتاع: البُلغة، وإلى حين: أي إلى حين انقضاء آجالكم ومنتهى أعماركم.

وقال الثعلبي فيما حكاه عن إبراهيم بن أدهم أنَّه كان يقول: أورثَتْنا تلك الأكلة حزناً طويلاً(٢).

وعن ابن عباس قال: لما أُهبِطَ آدم إلى الأرض قال: يا ربِّ، إني كنت جارك في دارك، ليس لي رقيب ولا ربٌّ سواك، آكُلُ منها حيث شئتُ رغداً، فأهبطتني إلى دار العناء والشَّقاء والنَّصب والتَّعب، فقال الله: يا آدم، لِشؤم معصيتك، وذكر كلاماً طويلاً(٣).

ولما أُهبِطَ آدم إلى الأرض كان على رأسه إكليل من الجنَّة فيبس وتناثر في الأرض، فكل طيب في الدنيا فمن ذلك الإكليل(٤).

فصل في المكان الذي أهبطوا إليه

قال علماء السِّير: أُهبِط آدم بالهند على جبل يقال له: واسِم، وقيل: نُوْذ، وقيل:

---

(١) انظر «تفسير» الطبري ١/ ٢٤٠.

(٢) «عرائس المجالس» ص٣٣.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٣٥-٣٦، والطبري في «تاريخه» ١/ ١٢٤.

(٤) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ١٢٥.

الرَّاهون، وقيل: انحلوس، عند وادي سَرَنْدِيب. واسم الوادي بهيل بين الدَّهنج والمندل، وهما بلدان بأرض الهند[١]. قال مقاتل: وهذا الجبل أقرب جبال الأرض إلى السماء.

وأُهبطت حوَّاء بجُدَّة من أرض مكة، والحيَّة بنَصِيبين الجزيرة، وقيل: بأَصبهان، وإبليس بميسان، وقيل: بالأُبلَّة[٢].

قال الجوهري: وميسان اسم كورة بسواد العراق[٣]. قال: والأُبُلَّة - بالضَّمِّ - مدينة إلى جانب البصرة[٤]. وقد ذكرها ابن الجواليقي قال: وهي بلدة قديمة[٥]. وقال أبو عبيد: هي آخر أعمال البصرة.

وقال ابن زيد: أهبط إبليس بالبصرة، وكذا قال الحسن البصري. وقال الحسن: ولهذا هي معدن المعتزلة والقدريَّة واليهود.

فإن قيل: فقد عَصَوا جملةً واحدة في مكان واحد، فما الحكمة في كونهم أهبطوا متفرقين؟ فالجواب: أنهم لما عصوا في ذلك المكان الشريف بدَّد الله شملهم في أقطار الأرض، وهو أبلغ في العقوبة من اجتماعهم في مكان واحد، ولهذا أُبقِيَ آدم مدَّة حتى اجتمع بحوَّاء بجَمْع، فلذلك سُمِّيت جَمْعاً على قول البعض، ثمَّ ازدُلِفت إليه بالمزدلفة، فسُمِّيت بذلك، ثم التقيا بعرفات فتعارفا، ورجعا إلى الهند، لما نذكر.

وحكى الحافظ أبو القاسم في «تاريخ دمشق»: أنَّ آدم كان يسكن بيت أبيات، قرية بسفح قاسيُون كانت، وإليه ينسب مسجدها، وأنَّ حوَّاء كانت تسكن بيت لَهيا[٦].

قلت: ولم يوافقه على هذا القول أحد لإجماعهم على أن آدم كان بالهند ويتردَّد إلى مكة ولم يدخل الشَّام، والله أعلم.

---

(١) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ١٢٢.
(٢) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ١٢٢، و«التبصرة» ١/ ١٦.
(٣) «الصحاح»: (ميس).
(٤) «الصحاح»: (أبل).
(٥) «المعرب»: ص٦٤.
(٦) «تاريخ دمشق» ٦٩/ ١٠١.

فصل في مقدار لبثه في الجنَّة

اختلفوا فيه على أقوال:

أحدها: ثلاث ساعات من أيام الآخرة، ربع يوم، فيكون مئتين وخمسين سنة من أعوام الدُّنيا، قاله الربيع بن أنس.

والثاني: ساعتين، قاله مجاهد، وهو موافق للحديث أنَّه خُلِقَ في آخر نهار الجمعة[١].

والثالث: ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر من سني الدنيا، رواه مجاهد عن ابن عباس.

الرابع: ثلاثاً وأربعين سنة وأربعة أشهر من سني الدنيا، ذكره أبو جعفر الطبري في «تاريخه»[٢].

والخامس: أنه أقام نصف يوم من أيام الآخرة خمس مئة عام، رواه أبو الضحى عن ابن عباس.

وقد روى قتادة: أنه دخل الجنَّة ضحوةً وأُخرجَ منها ما بين الظهر والعصر، وهو موافق لما روى أبو الضحى عن ابن عباس.

وقال ابن سعد: بإسناده عن ابن عباس قال: أُخرِجَ آدم من الجنة بين الصَّلاتين: صلاة الظهر وصلاة العصر، فأُنزِلَ إلى الأرض، وكان مكثُهُ في الجنَّة نصف يوم من أيَّام الآخرة خمس مئة سنة من يوم كان مقداره ألف سنة ممَّا تعدُّون، وهو اثنتا عشرة ساعة[٣].

وقال ابن سعد بإسناده عن خالد الحذَّاء قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد، آدم خلق للسَّماء أم للأرض؟ فقال: للأرض، قلت: أرأيتَ لو اعتصم فلم يأكل من الشجرة؟ فقال: للأرض خلق، فلم يكن له بدٌّ من أن يأكلَ منها[٤].

---

(١) تقدم تخريجه في: «فصل خلق آدم».

(٢) «تاريخ الطبري» ١/ ١١٩.

(٣) «الطبقات الكبرى» ١/ ٣٤_٣٥.

(٤) «الطبقات الكبرى» ١/ ٣٤.

فصل في ذِكرِ ما أُهبِطَ معه من الجنَّة

ذكر الوالِبي عن ابن عباس قال: أُهبِطَ معه الورق الذي خَصفَه من الجنة فتحاتَّ فنبَت منه أنواع الطِّيب والثمار، ففي ذلك الوادي: العود والسنبل والقرنفل والطَّاووس والمسك. وقد ذكرناه في أوَّل الكتاب.

وقال مقاتل في «المبتدأ» له: نزل مع آدم صُرَّة فيها حنطة وثلاثون قضيباً من الجنَّة، عشرة لها قشور وعشرة لها نوى، وعشرة لا قشور لها ولا نوى، فأمَّا التي لها القشور: فالجوز واللَّوز والفستق والبندق والخَشخاشُ والبلُّوط والشاه بلُّوط[1] والجوز الهندي والرُّمان والموز. وأمَّا التي لها نوى: فالخوخ والمِشمِشُ والإجَّاص والرُّطبُ والغُبَيراء والنَّبْق والزُّعرُور والعُنَّابُ والمُقْلُ والشاه لُوك[2]. وأما التي لا قشور لها ولا نوى فالتُّفَّاح والسَّفرجَل والعِنَبُ والكُمَّثْرَى والتُّوتُ والتِّين والأُتْرُجُّ والخَرُّوبُ والخِيَارُ والبِطِّيخُ[3].

وكان أبو موسى يقول: زوَّد الله آدم من ثمار الجنَّة، فثماركم هذه منها[4].

وروى عطاء عن ابن عباس قال: كان آدم حين أُخرج من الجنَّة لا يمرُّ بشيء إلا عبث به، فقال الله للملائكة: دعُوه فليتزوَّد منها ما شاء، فأخذ من أوراقها ما أراد وقَدرَ عليه، فعبَقَت أرض الهند وجبالها وشجرها بريح الجنَّة[5].

وقال قتادة: نزل معه الحجر الأسود، وكان أشدَّ بياضاً من الثلج، والركن والمقام، وهما ياقوتتان من ياقوت الجنة. ونزل معه عصا موسى، وكان من آس الجنة، طولها عشرة أذرع، ومرٌّ ولُبَان[6].

(١) الشاه بلوط: هو البلوط الجبلي الكبير. «المعجم الذهبي» ص ٣٦٣، وانظر «المعتمد في الأدوية المفردة» ص ٢٥٦.

(٢) الشاه لوك: هو الإجَّاص الأبيض. انظر «المعتمد في الأدوية» ص ٢٥٦.

(٣) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ١٢٨، والعناب: شجر يقارب الزيتون في الارتفاع، لكنه شائك. «تذكرة ابن داود» ١/ ٢٤١.

(٤) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٢٧، وانظر «المنتظم» ١/ ٢٠٩.

(٥) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٢٦ عن مجاهد عن ابن عباس، وانظر «المنتظم» ١/ ٢٠٩.

(٦) في (ل): «ومرواله؟». وما أثبتناه من «تاريخ الطبري» ١/ ١٢٧، و«المنتظم» ١/ ٢٠٩.

وروي عن ابن عباس موقوفاً عليه ومرفوعاً قال: لما أُهبِط آدم من الجنة حَزِنَ عليه كلُّ شيء في الجنَّة إلا الذهبَ والفضةَ، فأوحى الله إليهما: جاورَكُما عبدٌ من عبادي فحزِن عليه كلُ شيء إلا أنتما، فقالا: إلهنا، ما كنَّا لنحزنَ على من عصاك. فقال الله تعالى: وعزَّتي لأُعِزَّنكما في الدنيا فلا يُنال شيءٌ إلَّا بكما[١].

وقال الجوهري: الدِّينار أصله دِنَّار[٢] بالتشديد. قال: وأمَّا الدرهم ففارسيٌّ معرَّب[٣].

فصل في ما تجدد بعد نزوله من الحوادث

حكى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أُهبط آدم إلى الدنيا لم يكن فيها شيءٌ سوى حوتٍ ونسرٍ، فكان النسر يطير نهاراً، ثم يأوي في الليل إلى جانب البحر يستأنس بالحوت، فرأى النسرُ آدمَ فاستغربه، فقال للحوت: قد نزل إلى الأرض حيوان يمشي على قدميه ويبطُش بيديه، فقال الحوت: إن كنت صادقاً فما لي في البحر منه مهرب، ولا لك في البرِّ منه مذهب[٤].

وحكى الطبري وقال: جاع آدم فاستطعم ربَّه، فأتاه جبريل بسبع حبَّاتِ حنطة، فوضعها في يده، فقال: ما أصنع بها؟ فقال: ضعها في الأرض، فوضعها، فأنبتها الله من ساعته، ثم أمره فحصدها وفركها بيده، ثم ذرَّاها وأتاه بحجرين فطحن، وأتاه جبريل بنار، وخَبَزَهُ مَلَّةً، فآدم أول من خبز المَلَّة[٥].

وروى سفيان بن عيينة بإسناده عن ابن عباس قال: لما نزل آدم إلى الأرض جاع فقال: يا ربِّ أطعمنِي فأوحى الله إليه دون أن تعمل عملاً يعرق منه جبينك فلا، فخبَزَ خُبْزَ الملّة.

---

(١) لم نقف عليه من حديث ابن عباس، وأخرجه ابن الجوزي في «المنتظم» ١/ ٢١٠ من حديث أنس ﷺ، وقال: هذا حديث إسناده حسن، ومتنه غريب.

(٢) «الصحاح»: (دنر).

(٣) «الصحاح»: (درهم).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٤/ ٢٧٨، وابن الجوزي في «المنتظم» ١/ ٢١١.

(٥) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ١٢٨-١٢٩، و«المنتظم» ١/ ٢١٢، والملة: الرماد الحار.

وقال أبو صالح عن ابن عباس: لما رأى الله عري آدم وحوَّاء أمره أن يذبح كبشاً من الضَّأن من الأزواج الثمانية فذبحه، ثم أخذ صوفه فغزلته حوَّاء ونسجه آدم، فعمل منه جُبَّة لنفسه، ودِرعاً وخماراً لحوَّاء[١]، وهو أول من حاك في الأرض وخاط.

ثم أنزل الله عليه الكَلْبَتَين والمِطْرَقة، وكانتا لا يقلهما أحد من الناس، فكان يكسر الأشجار بالمطرقة. وعَمِلَ التَّنور الذي وَرِثه نوح وفار الماء منه[٢].

وقال مجاهد: أتاه جبريل بالجَلَم فجزَّ الشاة وغزلت حواء صوفها، وحاكه آدم عباءتين فلبساهما، ثم جاءه جبريل بثورين فصمدهما، ثم زرع عليهما، ثم حصد ودرس، ثم ذرَّى ثم صفَّى، ثم طَحن وعَجن، ثم خَبز وأكل[٣].

وقال سعيد بن جبير: جاءه جبريل بثور أحمر، فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه، ويقول لحوَّاء: أنت عملت بي هذا. قال سعيد: فليس أحد من ولد آدم يعمل على ثور إلا ويقول: «حو»[٤]. قال: فحينئذٍ قال آدم: هذا ما وعدني ربي من قوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾[طه: ١١٧].

وقال قتادة: جاءه جبريل بنار فأخذها بيده فأحرقت يده فقال: يا جبريل احترقت يدي، ولم تحترق يدك، فقال: لأنَّ يدك خاطئة. قال: وجبريل جاءه بالمقدحة وغيرها.

وروى مجاهد عن ابن عباس قال: لما أُهبِطَ آدم من جبل سَرَنْدِيب، وفقد كلام أهل السماء وتسبيحهم، ونظر إلى سعة الأرض، استوحش فقال: يا ربِّ، املأ هذه الأرض من يسبِّحك ويقدِّسك، فأوحى الله إليه قد استجبت دعاءك، وسأفعل ذلك[٥].

❀ ❀ ❀ ❀

---

(١) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ١٢٤.
(٢) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ١٢٧-١٢٨، والكلبتان: ما يأخذ به الحداد الحديد المحمى.
(٣) انظر «المنتظم» ١/ ٢١٢، وتاريخ الطبري ١/ ١٢٩ ـ ١٣٠.
(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٧/ ٤١١-٤١٢.
(٥) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٣١ عن وهب.

ومن الحوادث بكاؤه: حدثنا عبد الرحمن بنُ أبي حامد الحربي، بإسناده عن الحسن البصري قال: لما أُهبِطَ آدم من الجنة بكى ثلاث مئة عام لا يرفع إلى السماء رأسه حياءً من الله تعالى، ولا وضع يده على حوَّاء ولا ألِفَها ولا سكن إليها، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، قال فجاءه جبريل فقال: يا آدم ما هذا الجهد الذي بك؟ وما هذه البليَّة التي أجحفت بك؟ وما هذا البكاء؟ فقال: يا إلهي، كيف لا أجهد وأبكي وقد حوَّلتني من دار البقاء إلى دار الفناء، ومن دار النَّعيم إلى دار الشقاء، ومن دار الراحة إلى دار التعب والعناء؟

وفي رواية ابن أبي الدنيا(١) عن الحسن أيضاً قال: سجد آدم على جبل سرنديب ثلاث مئة عام يبكي حتى جرت الأنهار من دموعه، فأنبت الله منها أنواع الطِّيب بأرض سرنديب، واجتمعت الغدران من دمعه، فجاء نسر عظيم فشرب من غدير وجلس إليه، فأنِس به ولم يعلم أنها دموعه، فقال له النسر: من أين هذا الماء؟ ما أطيبه، ما ذقت ألذَّ منه. فازداد آدم بكاء وقال: أيها النسر أتسخر بي؟! قال: ولم؟ قال: هذا دمعُ مَن عصى ربَّه، فمن أين له الطِّيب؟ فقال له النَّسر: وأيُّ ماءٍ ألذُّ من دمع عاصٍ ذكر ذنبه، فوجل قلبه، فاستغفر ربه.

وحكى الثعلبي عن شهر بن حوشب: أنه أقام مئة سنة لم يقرب حوَّاء.

قرأت على شيخنا الإمام الموفَّق عبد الله بنِ أحمدَ المقدسيِّ رحمه الله تعالى بظاهر دمشق بقاسيون في سنة أربع وست مئة، قلت له: أخبركم أبو الفضل مسعود بن عبيد الله ابن النَّادر(٢) فأقرَّ به، قال: حدَّثنا أبو بكر محمَّد بن الحسين بإسناده عن عمر بن ذر عن مجاهد قال: لما أكل آدم من الشجرة تساقط عنه جميع ما كان عليه من زينة الجنَّة، فقال لحوَّاء: استعدِّي للخروج من جوار الرحمن، فهذا أوَّل شؤم المعصية، فقالت: يا آدم، ما ظننت أنَّ أحداً يحلف بالله كاذباً. ثم هرب آدم في الجنة فتعلقت به شجرة، فظنَّ أنَّه قد عوجل بالعقوبة، فجعل يقول: العفو العفو، فقال الله للملائكة: أَخرِجَا آدم وحوَّاء من جواري، فنزع جبريلُ التَّاجَ عن رأسه والإكليل عن جبينه، فلما هبط من دار

(١) في الرقة والبكاء (٣٢٥).

(٢) هو مسعود بن علي بن عبيد الله، سيترجم له المصنف في سنة (٥٨٦هـ)، والخبر في التوابين ٤٨.

القدس إلى دار المسغبة، بكى على خطيئته مئة سنة، قد رمى برأسه على ركبتيه حتى نبت العشب من دموعه والأشجار، وامتلأت نُقَرُ الجَلاهم وأَقْعِبَتُها، ثم تاب عليه.

والنُّقَر: الحفر. والجُلاهم: جمع جُلْهُمة وهي جانب الوادي، وقوله: وأقعبتها، كذا وقعت هذه الرواية، والصواب: وقعبانها.

وقد أخرج الخطيب حديثاً في بكاء آدم فقال بإسناده عن ابن بريدة عن أبيه عن رسول الله ﷺ: «لو وُزن دُموعُ آدمَ بجميعِ دموعِ ولدِه لرَجَحَ دُموعُه على الجميعِ»[1]. قال جدي رحمه الله في «الأحاديث الواهية»: في إسناده أحمد بن بشير، قال ابن معين: وهو متروك[2].

وحكى الوليد بن مسلم عن الأوزاعي قال: بكى آدم على الجنة سبعين عاماً، وعلى خطيئته سبعين عاماً، وعلى ابنه هابيل حين قتل أربعين عاماً، وأقام بمكّة مئة عام[3].

وذكر مقاتل بن سليمان في كتاب «المبتدأ» له قال: جاءه جبريل بعد أن بكى مئة سنة فقال له: يا آدم هذا بكاؤك[4] لفراق الجنان، فأين بكاؤك لفراق الرحمن؟ فبكى مئتي سنة أخرى، فجرى من إحدى عينيه مثل الفرات، ومن الأخرى مثل دجلة.

❁ ❁ ❁ ❁

ومن الحوادث قصد السباع والهوام إيَّاه: روى وهب بن منبِّه قال: لما نزل آدم إلى الأرض كان فيها سباع وهوام، فأتاهم إبليس فقال: قد نزل إليكم حيوان يقصد هلاككم فأهلكوه، فقصدوه من كلِّ جانب، فخاف وقال: يا إلهي اكفنيهم، فأوحى الله إليه: اختر منهم واحداً يذبُّ عنك، فدعا الكلب ومسح على رأسه، فحمل عليهم فطردهم، فمن ثَمَّ يألف الكلب بني آدم ويحفظ عهدهم.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) «تاريخ بغداد» ٤/ ٤٧.

(٢) «العلل المتناهية» (٤٤).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٦/ ٧٧.

(٤) إلى هنا انتهى الخرم في (ب).

فصل ومن الحوادث توبته

قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[البقرة: ٣٧] قال ابن عباس: معنى «تلقَّى»: تلقن وحفظ وفهم.

واختلفوا في الكلمات على أقوال:

أحدها: أنها قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف: ٢٣] رواه العوفي عن ابن عباس.

والثاني: إن آدم قال: يا ربّ ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: ألم تنفخ فيَّ من روحك؟ قال: بلى، قال: ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى، قال: فلم أخرجتني منها؟ قال: بشؤم معصيتك. قال: ياربّ أرأيت إن تبتُ ورجعتُ أَراجعي أنت إليها؟ قال: نعم؛ فتاب عليه، قاله الحسن(١).

والثالث: أن آدم قال: يا ربّ أرأيت ما أتيتُ به، أشيء ابتدعتُهُ أم شيء قدَّرتَهُ عليَّ ولم أبتدعه من تلقاء نفسي؟ قال: بل بتقديري عليك، فقال: يا ربِّ، فكما قدَّرته عليَّ فاغفر لي، فتاب عليه. قاله عبيد بن عمير(٢).

والرابع: أنه قال: لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي فتُبْ عليَّ إنك أنت التوّاب الرّحيم، فغفر له. قاله محمد بن كعب القُرَظي(٣).

والخامس: أنه نظر إلى ساق العرش فرأى عليه مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال: يا ربِّ، بحقِّ محمد اغفر لي فغفر له، قاله الربيع بن أنس(٤).

والسادس: أنه رأى على ساق العرش مكتوباً: محمد رسول الله، علي بن أبي طالب، الحسن والحسين، فاطمة. حكاه زيد بن أسلم عن أبيه، وفيه: فقال: يا ربِّ،

(١) وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٤٣، وفي «تاريخه» عن ابن عباس. وانظر «زاد المسير» ١/ ٦٩.
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٤٤.
(٣) انظر «عرائس المجالس» ص ٣٦.
(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٥٠٢)، والحاكم ٢/ ٦١٥، وابن عساكر ٧/ ٤٣٧ من حديث عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعاً. قال الذهبي في «تلخيص المستدرك»: موضوع.

بحرمة هذه الأشباح اغفر لي.

والسابع: أنه رأى على ساق العرش مكتوباً، لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق. حكاه الثعلبي بإسناده إلى عليّ كرّم الله وجهه.

والثامن: سبحانك لا إله إلا أنت إني كنت من الظالمين، قاله وهب.

وروى ابن أبي الدُّنيا(١) بإسناده عن وهب بن منبه قال: أقام آدم على حاله زماناً، فاطّلع الله عليه فرآه حزيناً كئيباً، فأوحى إليه: ما الذي بك؟ فقال: إلهي عظمَتْ مصيبتي، وأحاطت بي خطيئتي، وأخرجت من ملكوت السماء، فأصبحتُ في دار الهوان بعد الكرامة، والشقاء بعد السعادة، والنَّصَب بعد الخفض والدعة، والظَّعْن بعد القرار والطمأنينة، ودار الذلِّ بعد العزِّ. فقال الله: ألم أصطنِعْكَ لنفسي وأُحلَّك دارَ كرامتي وأُسجدْ لك ملائكتي، ونفخت فيك من روحي، فعصيت أمري، وضيَّعت عهدي، وخالفت وصيَّتي، ولم تشكر نعمتي، وعزَّتي وجلالي لو ملأت الأرض رجالاً مثلك يسبِّحون الليل والنهار لا يفترون ثم عصوني لأنزلتهم منازل العاصين. وإني قد رحمتُ ضعفك وتضرُّعك، وأقلتك عثرتك، وقبلتُ توبتك، فغفرتُ زلَّتك. فألهمه الله أن قال: سبحانك إني كنت من الظالمين. قال وهب: فذلك قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البقرة: ٣٧].

وذكر جدي رحمه الله في كتاب «التبصرة» عن وهب بن منبه: أنه سجد على جبل الهند مئة عام يبكي حتى جرت دموعه في وادي سرنديب، فأنبت الله من دموعه الدّارصيني والقَرَنْفُل. وذكر بمعنى ما تقدَّم، ثم قال: فجاءه جبريل فقال: ارفعْ رأسك فقد غفر لك، فرفع رأسه وأتى الكعبة فطاف أسبوعاً فما أتمه حتى خاض في دموعه(٢).

ولما تاب عليه أمره بالمسير إلى مكّة فأتى إلى البيت فطاف به، وصلى عند المقام ركعتين. ومعنى عند المقام، أي: موضع المقام.

فإن قيل: فلم يكن هناك بيت، فالجواب: إنَّ أهل السِّير قد اختلفوا في بنائه:

فروى عكرمة عن ابن عباس: أنَّ الملائكة لما قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ

(١) الرقة والبكاء (٣٢٠).

(٢) «التبصرة» ١٦ـ١٧.

خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا﴾[البقرة: ٣٠] أرسل الله عليهم ناراً فأحرقت منهم عشرة آلاف، وبقي رؤساؤهم، فقالوا: يا ربَّنا، كيف نصنع حتى ترضى عنَّا؟ فقال: ابنوا لي في الأرض بيتاً، وطوفوا حوله كما تطوفون حول عرشي، ففعلوا فرضي عنهم. قال جعفر ابن محمد الصادق ﷺ: فمن ثَمَّ أصل الطواف.

وروى سعيد بن المسيِّب عن ابن عباس: أن آدم بناه وكان موضعه ربوة حمراء، فأوحى الله إلى آدم: طُفْ بها، فطاف بها، قال: وكان آدم لما أهبط إلى الأرض استوحش فأوحى الله إليه: ابنِ هذه الربوة الحمراء بيتاً، فمنها وضعت الدنيا، وطف بها كما رأيت الملائكة تطوف بعرشي، فبناه.

وقد رواه أبو صالح أيضاً عن ابن عباس، وروى مجاهد عنه: أن الله تعالى بناه من غير بناء أحد.

والظاهر أنَّ آدم بناه، وكان ربوة حمراء، وكان قد نزل معه من الجنَّة ياقوتة، فوضعها فيه، وكان جبريل يأتيه بالحجارة من حراء، وطور سينا، وطور زيتا، والجودي وغير ذلك، وهو يبني. وسنذكره عند بناء الخليل عليه السلام البيت.

وقال عطاء: لما جاء آدم من الهند ماشياً صار ما بين قدميه مفاوز، وموضع القدمين عمائر. ثم رجع إلى الهند، واتخذ مغارة فكان يأوي إليها، وكان قد اجتمع بحوَّاء في عرفات فتعارفا فأخذها معه إلى الهند.

ومن الحوادث: مسحُ ظهر آدم وإخراج الذرِّيَّة منه

قال أحمد بن حنبل بإسناده عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «أخَذَ الله الميثاقَ من ظهرِ آدمَ بأرضِ نَعْمَان - يعني أرضَ عرفة - فأخرَجَ من صُلبهِ كلَّ ذرِّيَّة ذَرَأها فنَثَرها بين يدَيْهِ كالذَّرِّ، ثم كلَّمَهم قِبَلاً، فقال: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[الأعراف: ١٧٢]»(١) ومعنى «قِبَلاً» أي: عياناً.

وقال أحمد بن حنبل بإسناده عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٤٥٥).

«إنَّ الله خَلَقَ آدمَ ومسَحَ ظَهرَه بيَمِينِه فاستَخرَجَ منه ذُرِّيَّة، فقال: خَلَقتُ هؤلاءِ للجنَّةِ، وبعَمَلِ أهلِ الجنَّةِ يَعمَلُون، واستخرج ذرِّيَّة، وقال: خَلَقتُ هؤلاءِ للنَّارِ، وبعَمَلِ أهلِ النَّارِ يَعمَلُون» فقال رجل: ففيمَ العملُ يا رسول الله؟ فقال: «إنَّ الله إذا خَلَقَ العبدَ للجنَّةِ استعمَلَه بعملِ أهلِ الجنَّة، [حتى يموتَ على عملٍ من أعمال أهلِ الجنَّة] فيُدخِلَه به الجنَّة، وإذا خَلَقَ العبدَ للنَّارِ استَعمَلَه بعملِ أهلِ النَّارِ حتى يموتَ على ذلك، فيُدخِلَه النَّارَ»[1].

وقال أحمد بإسناده عن أبي الدَّرداء عن النبي ﷺ قال: «خَلَقَ الله آدمَ حينَ خَلَقَه فَضَربَ كتِفَه اليُمنى فأخرجَ ذرِّيَّةً بَيضاءَ كأنَّهم الذَّرُّ، وضَرَبَ كتِفَه اليُسرى فأخْرَجَ ذرِّيَّة سَوداءَ كأنَّهم الحُمَمُ، فقَالَ للَّذي في يمينِهِ: إلى الجنَّةِ ولا أُبالي، وقالَ: للَّذي في كَفِّه اليُسرى إلى النَّارِ ولا أُبالِي»[2].

وقال أحمد بن حنبل بإسناده عن أبيِّ بن كعب بمعناه. وفيه: وأَشهَدَ عليهم السَّماواتِ والأرضَ وآدمَ[3].

ورواه الحسن البصري عن أنس، وفيه: فأخرج من ظهره ذريّة فقال: هؤلاء في الجنّة ولا أُبالي، ثم أخرج ذريّة أخرى فقال: هؤلاء في النّار ولا أبالي، فقيل: ياأبا سعيد لا أُبالي بمن؟ فقال: لا تنفعه طاعة هؤلاء ولا تضره معصية هؤلاء.

وروى السُّدي عن أشياخه قالوا: أخرج الله من ظهره من الجانب الأيمن ذريّة بيضاء مثل اللؤلؤ، وقال لهم: ادخلوا الجنّة برحمتي، وأخرج من صفحة ظهره اليسرى ذريّة سوداء وقال لهم: ادخلوا النّار ولا أبالي. قال: فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾[الواقعة: ٢٧] الآية، ثم قال لهم الله: اعلموا أني إلهكم لا إله لكم غيري، فلا تشركوا بي شيئاً، وأني مرسل إليكم رسلاً يذكرونكم بعهدي وميثاقي، وأني مُنزل عليكم كُتُباً، فنطقوا وقالوا: شهدنا بأنّك ربّنا وإلهنا لا ربَّ لنا غيرك، ولا إله سواك، فأقرُّوا كلهم طائعين غير مكرهين، فأخذ مواثيقهم، وكتب آجالهم وأرزاقهم ونوائبهم وأفراحهم وما يكون منهم، فلا تقوم الساعة حتى يولد كلُّ من أخذ ميثاقه، لا

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣١١)، وما بين حاصرتين منه.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٧٤٨٨).

(٣) هو من زوائد عبد الله بن أحمد على المسند، موقوف عليه، «مسند أحمد» (٢١٢٣٢).

يزاد فيهم ولا ينقص[١].

وقال مقاتل: أقرَّت طائفة منهم على وجه التقيَّة، قال: وركَّب الله فيهم العلم فخاطبوه وخاطبهم.

وقال السُّدي: نظر إليهم آدم فرآهم متفاوتين، منهم الغني والفقير، والحسن الصورة والقبيح، فقال: يا ربِّ، هلَّا سوَّيت بينهم؟ فقال: إني أحببت أن أُشكر.

وقال مقاتل في «المبتدأ»: رأى آدم نور بعضهم كنور الشمس، وهم المرسلون، وبعضهم كنور القمر، وهم النبيُّون، وبعضهم كالنجوم، وهم الصِّدِّيقون، وبعضهم كالشمع، وهم الأولياء، وبعضهم كالسرج وهم العلماء، وبعضهم مرضى وأصحاء، فقال: يا ربِّ، لم لم تسوِّ بينهم؟ فقال: لو تركتهم على حالة واحدة لم تعرف المراتب، فقال: يا ربِّ[٢]، هلَّا خلقتهم صحاحاً؟ فقال: لو خلقتهم صحاحاً لما عرفوا قدر الصحة، ولو خلقتهم كلهم مؤمنين لما عرفوا قدر الإيمان، فقال: يا ربِّ، وأيُّ أرض تتسع لهؤلاء أو لهذه الذريَّة العظيمة؟ فقال: إني أقسمهم أربعة أقسام، قسم في الأصلاب، وقسم في الأرحام، وقسم على وجه الأرض، وقسم في بطنها، فقال: يا ربِّ، كيف يهنيهم عيش بعدما يعاين بعضهم دفن بعض؟ فقال: أركِّب فيهم الغفلة حتى لو دَفَن الواحدُ عشرة من أهل بيته وأقاربه لا يتأثَّر إلا في تلك الساعة.

وقال مقاتل أيضاً في «المبتدأ»: وخلق الله النِّساء، فجعل الجميلات في أسفل تلٍّ، والدَّميمات في أعلاه، ثم قال للرِّجال: خذوهن، فظنَّ الأقوياء أنَّ اللاتي في أعلى التلِّ هن الجميلات، فبادروا إليهنَّ، فأخذوا الدَّميمات، ووقع في قسم الضعفاء الجميلات. قال: ولهذا إنَّ كل من كان أضعف كانت امرأته في الغالب أحسن.

وقال مقاتل: جعل الله الذرَّ قسمين: قسم عن يمين العرش، وقال: هؤلاء للجنَّة، وقسم عن شماله، وقال: هؤلاء للنار.

قال الحسن البصري: كان عقل آدم في تلك الحال مثل عقل جميع أولاده[٣].

---

(١) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ١٣٦.

(٢) من قوله: يارب لم لم تسو بينهم . . . إلى هنا ليس في (ب).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (١٠٣٥)، وابن عساكر في «تاريخه» ٧/ ٤٤٤.

واختلفوا في أي مكان أخذ عليهم الميثاق على أقوال:

أحدها: بأرض نَعمَان: وادٍ إلى جانب عرفة، قاله ابن عباس(١)، قال: ولذلك سميت عرفة، إمَّا لأنهم عرفوا ربَّهم هناك، وإمَّا لأنهم عرف بعضهم بعضاً.

والثاني: بين مكة والطائف، قاله الكلبي.

والثالث: بالدَّهنَاء ـ موضع بالهند ـ وفيه أُهبِطَ آدم، وهو رواية ابن عباس.

والرابع: بدَحْنا(٢).

وحكى الطبري عن السُّديِّ: أنَّ الله أخرج ذريَّة آدم في السماء قبل أن يَهبط إلى الأرض، وبعد أن أخرجه من الجنَّة(٣).

والأوَّل أصحُّ، لأنَّ حديث ابن عباس قد نصَّ عليه(٤).

واختلفوا في قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[الأعراف: ١٧٢]:

قال الفراء: هو سؤال تقرير. فإن قيل: فلو قالوا: نعم، هل يكون إقراراً؟ فالجواب: لو قالوا: «نعم» لكفروا، لأنه يكون جحداً، وذلك لأنَّ «نعم» جوابُ التصديق، وبلى جواب التحقيق، فإذا قالوا: «نعم» صار معناه: لستَ ربنا، ألا ترى أنه لو قال رجل لآخر: أليس لي عندك وديعة؟ فقال: بلى، يثبت حقه، ولو قال: نعم، لم يثبت، لأنه يكون جحداً، مثل قول: لا.

واختلفوا في قوله: ﴿شَهِدْنَا﴾[الأعراف: ١٧٢]:

فقال السُّدي: هو خبر من الله تعالى عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم.

وقال مقاتل: هو خبر عن إقرار بني آدم حين أشهد الله بعضهم على بعض.

ومعنى ﴿تَقُولُوا﴾ أي: لئلّا تقولوا يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ أي: عن الميثاق والإقرار.

---

(١) ليست في (ب)، والخبر أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٣٤.

(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٣٥ـ١٣٦ عن ابن عباس.

(٣) «تاريخ الطبري» ١/ ١٣٦.

(٤) وهو قوله ﷺ: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان» وقد تقدم تخريجه في فصل الجبال: جبلي نعمان.

وما أحسنَ ما قال ذو النون المصري، حين قيل له: أين أنت عن يوم أَلَسْتُ؟ فقال: كأنَّه الآن في أذني، وما أراد به سماع الصوت، وإنما أراد به تحقيقَ الإيمان والإقرار.

وسئل بعضهم عن أحوال الذرِّيَّة في يوم الميثاق، وأنهم كلهم اعترفوا، فكيف خرج بعضهم إلى الجحد؟ فقال: كلهم قالوا بلى، ولكن عمَّ بعضهم البلاء للقضاء السَّابق.

وفي هذا الوقت الذي أخرج الله ذريَّة آدم رأى نورَ داود.

قال أحمد بن حنبل بإسناده عن ابن عباس، قال: لما نزلت آية الدَّين قال النبي ﷺ: «أوَّلُ مَن جَحدَ آدمُ، وذَلكَ لأنَّ الله لما مَسَحَ ظَهرَ آدمَ وأَخرَجَ ما هو ذَارئٌ إلى يَومِ القيَامةِ، فَجَعلَ يَعرِضُ ذرِّيَّته، فرأى رجلاً يَزهَر، فقال: يا ربِّ، مَن هذا؟ فقال: ابنُكَ داودُ، فقال: يا ربِّ، زِد في عُمرِهِ، فقال: لا إلَّا أن تَزيده من عُمرِكَ، وكان عُمرُ آدمَ ألفَ سنةٍ فزادَه أربعين سنة، فكتَبَ الله بذلِكَ كِتَاباً وأشهَدَ عليه الملائِكَةَ، فلمَّا احتضَرَ جاءَهُ ملكُ الموتِ فقال: قد بقِيَ لي من عُمري أربَعونَ سنةً، فقال: قد وهبتَها لداودَ، فقال: ما وَهبتُ فأبرَزَ اللهُ الكِتابَ والشَّهادةَ». وفي رواية: «أتتهُ الملائكةُ»[(١)]. قال رسول الله ﷺ: «جَحدَ آدمُ فَجحدَت ذُريَّته»[(٢)] قال ابن عباس: فمن ثَمَّ اتُّخِذَت الصِّكَاكُ[(٣)] والشهادات.

وقد أخرجه محمد بن سعد في «الطبقات»، وذكر إسناده كما ذكرنا، وزاد فيه: «فأَكمَلَ الله لآدم ألفَ سنةٍ، ولداودَ مئةَ سنةٍ»[(٤)].

قال جدي رحمه الله في «المنتظم»: الحديث محمولٌ على أنَّ آدم نسي لطول المدَّة، لا أنَّه كان ذاكراً لذلك ثم جحد، لأنه يكون كذباً، والأنبياء منزَّهون عن الكذب[(٥)].

قلت: إلا أنَّ النبي ﷺ نصَّ على أنه جحد، والجحد يحتمل أن يكون معه نسيان ويحتمل أن لا يكون، فإن كان معه نسيان، فهو معذور، وإن لم يكن، فيحتمل أنَّ الله

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٢٧٠). ويزهر: يضيء وجهه حسناً.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٨ من حديث أبي هريرة.

(٣) الصك: الكتاب، وهو معرب.

(٤) «الطبقات الكبرى» ١/ ٢٨-٢٩، وانظر «المنتظم» ١/ ٢١٦.

(٥) لم نقف عليه في «المنتظم»، وانظر «التبصرة» ١/ ١٧.

ألهمه أن يكمل له ألف سنة ويتم لداود مئة ولا ينقص من ملكه شيء.

فإن قيل: فلمَ رأى نور داود ولم ير نور محمد ﷺ، وكان نوره أبهى من نور داود؟ قلنا: لما قضي في السَّابق أنَّ داود يوافقه في العصيان[1]، لُفِّقَت بينهما مجانسة الذَّنب في ذلك المكان، أمَّا محمد ﷺ فإنَّه قد شاهد نورَهُ على ساق العرش، فسأل الله به وتوسل إليه، فرحمه وتاب عليه.

ومن الحوادث ما ذكره مقاتل في «المبتدأ» قال: لما نزل آدم إلى الأرض اسوَدَّ جلده من حرارة الشمس، ويبس من البرد، فأوحى الله إليه: هذا بشؤم معصيتك، فَصُمْ ثلاثة أيام من كلِّ شهر، وهي أيام البيض، فصامها فابيضَّ لونه.

وقال مقاتل أيضاً: لمَّا جنَّ عليه الليل استوحش، فلمَّا طلع الفجر ألهمه الله أن صلِّ ركعتين صلاة الصبح شكراً لله تعالى. فآدم أول من صلَّاها.

قال: وصلى إبراهيم الظهر أربعاً لما فدي ولده بالكبش، وكان وقت الظهر، وصلَّى يونس العصر لما خرج من بطن الحوت. ولما ادَّعت النصارى التثليث صلَّى عيسى المغربَ ثلاثاً: ركعتين عن نفسه، وركعة عمَّن آمن به. وصلى موسى العشاء أربعة ليلةَ الطُّور لما كلَّمه الله تعالى.

قلت: والأصحُّ أنَّ الصلوات الخمس إنَّما صلَّاها رسول الله ﷺ، ورتَّبها على هذا الوجه، وروايات مقاتل فيها مقال معروف.

فصل في نبوَّة آدم عليه السَّلام

قال ابن سعد عن أبي ذرٍّ قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الأنبياءِ أوَّلُ؟ قال: «آدَمُ» قُلتُ: أَوَنَبِيًّا كان؟ قال: «نعم، نَبِيٌّ مُكَلَّم»[2].

وروى مجاهد عن ابن عباس قال: أنزل عليه إحدى وعشرين صحيفة، أملاها عليه جبريل، وكتبها آدم بخطِّه بالسُّريانيَّة، وكانت لغته في الجنة العربية، فلما عصى وأهبط إلى الأرض تكلَّم بالسُّريانيَّة[3]. قال: وفرض عليه في اليوم والليلة خمسين ركعة،

---

(١) ينظر ما سيورده المصنف من محنته عليه السلام في ٢/ ١٦١ وما بعدها.

(٢) «الطبقات الكبرى» ١/ ٣٢. ٥٤، وهو عند أحمد في «مسنده» (٢١٥٤٦).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٧/ ٤٠٧.

وحرَّم عليه الميتة والدَّم ولحمَ الخنزير والبغي والظلم والغدر والكذب والزنا.

وذكر أبو جعفر الطبري وقال: أول ما أنزل عليه حروف المعجم في إحدى وعشرين ورقة، وهو أوَّل كتاب كان في الدنيا(١).

وذكر أبو إسحاق الثعلبي في أول سورة الرحمن عن ابن عباس قال: كان آدم يتكلَّم بسبع مئة ألف لغة، أفضلها العربيَّة، قالوا: ولو قال: بسبع مئة لغة احتمل، أمَّا بسبع مئة ألف، فهذا ممَّا لا توافقه عليه العقول السليمة.

فصل

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾[طه: ١١٨] وقد جاع وعري، فالجواب: أنه ما جاع وعري في الجنَّة، وإنما كان ذلك في الدُّنيا. والظَّمأ هو العطش ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾[طه: ١١٩] أي: تبرز للشمس، والجنَّة ما فيها شمس فيؤذيه حرُّها.

فإن قيل: فهما اثنان، فهلَّا قال: أن لا تجوعا، قلنا: غلب المذكَّر على المؤنَّث، لأنَّ نعت آدم كان أكثر، وكذا قوله: ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾[طه: ١١٧] كان من حقِّه أن يقول: فتشقيا.

فإن قيل: فما معنى قوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[طه: ١٢١] قلنا: معناه أخطأ وضلَّ ولم ينل مراده، لأنه خالف، والعصيان خلاف الطَّاعة ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾[طه: ١٢٢] أي: هداه للتَّوبة، وفَّقه لها.

فإن قيل: فهل يجوز إخراج الضَّيف من دار المضيف؟ فالجواب من وجوه:

أحدها: نعم، إذا ترك الأدب وطمع فيما لا يجوز له.

والثاني: لأنه كان في صلبه الأنبياء والعلماء والأولياء، والجنَّة ليست بدار توالد.

والثالث: لولا نزوله ما تصاعدت صعداء الأنفاس، ولا نزلت رسائل، هل من سائل؟

(١) «تاريخ الطبري» ١/ ١٥١.

فإن قيل: فلمَ نهاه عن شجرة بعينها؟ قلنا: لأنَّه كان لها ثُفْلٌ، فإذا أكل منها احتاج إلى البول والغائط، وليست الجنَّة موضعه، وقد ذكرناه[١].

فإن قيل: بماذا عاقب الله آدم وحوَّاء؟ قلنا: عاقب آدم بأشياء منها:

العتاب ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾[الأعراف: ٢٢].

والثانية: بإبداء السوءة ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾[طه: ١٢١].

والثالثة: بإخراجهما من جواره ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[البقرة: ٣٦].

والرابعة: بإظهار العداوة له ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦].

والخامسة: بإلزامه اسم العصيان ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[طه: ١٢١].

والسادسة: بتسليط الشيطان على أولاده ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾[الإسراء: ٦٤].

والسابعة: بالهموم والأحزان، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾[البلد: ٤] أي: في هَمٍّ ونَصَب.

والثامنة: بما لقي من المشقَّات.

والتاسعة: بطول بكائه.

والعاشرة: بحزنه على هابيل ولده.

وكذا حوَّاء عاقبها بخصال، أوَّلها: الحيض، فإنها لما تناولت من الشجرة قيل لها: تدمين في كلِّ شهر، وبالنِّفاس وبالطَّلق والولادة، وترك الصلاة، ونقصان العقل والميراث والشهادة، والعدَّة، والمنع عن الخروج والبروز، وكونها عورة، ونقصان الدِّية[٢]. وقد ذكرنا بعض هذا[٣].

ذكر أولاد آدم عليه السَّلام

روى العَوفي عن ابن عباس قال: لما طال مقام آدم في الأرض غشيَ حوَّاء، فولدت

(١) راجع فصل في مقام آدم في الجنة.

(٢) انظر «عرائس المجالس» ٣٣_٣٥.

(٣) من قوله: وكذا حواء . . . إلى هنا ليس في (ب).

له أربعين ولداً، في عشرين بطناً، في كل بطن توأمين، ذكر وأنثى[١].

واختلفوا في أول أولاده: فروى مجاهد عن ابن عباس قال: لما حملت حوَّاء في الدنيا جاءها إبليس فقال: أنا أخرجتكما من الجنَّة ولئن لم تطيعيني لأشوِّهن ولدك، فأجعل له قرنين يشقَّان بطنك، وأُخرجه من فيك ميتاً. فلم تلتفت إليه، فخرج الولد ميتاً. ثم حملت بآخر فجاءها فقال لها مثل ذلك، فلم تطعه، فخرج الثاني والثالث ميتاً. فقالت له: ما تريد؟ قال: سمِّه عبد الحارث، وكان إبليس يدعى الحارث، فسمَّته عبد الحارث[٢].

قال ابن عباس: فذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ وهي آدم ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني حوَّاء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[الأعراف: ١٨٩] أي: ليأنس بها ويأوي إليها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ أي: جامعها، كَنَى عن الجماع بالغشيان ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ أي: لم تكترث له ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ أي: استمرَّت، قامت وقعدت ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ أي: كبر الولد في بطنها ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ يعني آدم وحوَّاء ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ أي: خلقاً سوياً مثلنا ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[الأعراف: ١٨٩] وإنما سألا الله هذا لأنَّ إبليس جاءهما فقال: يا حوَّاء، وما يدريك ما في بطنك، لعلَّه أن يكون بهيمة أو مشوَّه الخلق، فأخبرت آدم فحزن. ثم أتاها إبليس فقال: إن كان آدميّاً أتسمِّياه عبد الحارث؟ ولم تكن تعرفه، فقالت: نعم.

وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما حملت حوَّاء جاءها إبليس في صورة شيخ فقال لها: قد حملت، قالت: ومن أين علمت؟ قال: بلى، وما يدريك لعلَّ في بطنك كلب أو خنزير أو حيوان، وما يدريك من أين يخرج: من فيك، أو من أنفك، أو من عينك، أو من دبرك، أو يشقُّ بطنك فيقتلك، فأخبرت آدم فقال لها: لا يغرَّنَّك فإنه اللَّعين. فلم يزل يخدعها حتى سمَّته عبد الحارث[٣].

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٤٥ عن ابن إسحاق، وانظر «المنتظم» ١/ ٢١٧.

(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٤٨ـ١٤٩، وابن الجوزي في «المنتظم» ١/ ٢١٩. ولقد نص ابن كثير في «البداية والنهاية» ١/ ٩٦ على أنه من الإسرائيليات.

(٣) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٤٩ـ١٥٠، وابن الجوزي في «المنتظم» ١/ ٢١٩.

وفي رواية: فكانت تلِد عبد الله وعبد الرحمن فيموتون، فسمَّته عبد الحارث. فعاش[(١)].

وقد أخرج أحمد بن حنبل في «المسند» معنى هذا فقال: حدَّثنا عبد الصمد بإسناده عن سَمُرة بن جُندُب قال: قال رسول الله ﷺ: «كانت حوَّاءُ لا يَعيشُ لها وَلَدٌ فَطافَ بها إبليسُ فقال: سمِّيهِ عبدَ الحارثِ فإنَّه يَعيشُ، فَسمَّتهُ فعاشَ، وكَانَ ذلك وَحْياً من الشَّيطانِ ومِن أَمرِهِ»[(٢)].

وذكر الربيع بن أنس عن ابن عباس قال: أوَّلُ ولدٍ ولدته سمَّته عبد الله، ثم عبد الرحمن، ثم صالحاً ثم سمَّت الثالث أو الرَّابع عبد الحارث، فقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾[الأعراف: ١٩٠] أي: حظّاً ونصيباً في التَّسمية لا في العبادة، لا أنَّ الحارث ربُّهما، وإنَّما أنه سبب لنجاة الولد[(٣)]. وقد يسمَّى الرجل عبد فلان على وجه التواضع.

وروي عن ابن عباس موقوفاً عليه ومرفوعاً قال: «خدعها إبليس مرَّتين، مرةً في الجنَّة، ومرَّة في الأرض»[(٤)].

وقال الواقدي: أوَّلُ ولد ولدته قابيل وتوأمته إقليما، وآخِرُ ولد ولدته عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث.

وقال مجاهد: اسم قابيل في التوراة: قابين وقاين وقين.

وذكر ابن إسحاق، عن بعض أهل الكتاب: أنَّ حوَّاء حملت في الجنَّة بقاين وهو قابيل وبتوأمته إقليما، فلم تجد عليهما وحماً ولا وصباً. ولما وضعتهما لم تر معهما دماً لطهر الجنة، فلمَّا نزلت إلى الأرض حملت بهابيل وتوأمته ليوذا[(٥)]، فوجدت الوحم والدَّم.

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٤٨ـ١٤٩.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٠١١٧).

(٣) انظر «المنتظم» ١/ ٢١٧.

(٤) لم نقف عليه من حديث ابن عباس ﵄، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٦٦٤) من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مرفوعاً.

(٥) في (ب): لبوذا، وسترد كذلك، وفي عرائس المجالس ٤٥: لبودا، والمثبت من (ل)، والخبر أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٣٩، وانظر «المنتظم» ١/ ٢١٩.

قلت: ولا تصحُّ هذه لوجوه:

أحدها: لعدم صحَّة النقل، فإنَّ أحداً لم يوافقه على هذا.

والثاني: لأنَّ الجنَّة مُطهَّرة عن الحبل والولادة.

والثالث: لأنَّه لم يذكر قابيل في الهبوط معهم.

والرابع: لاتِّفاق أهل السِّير على أنها حملت به في الدنيا؛ وقد نصَّ عليه الواقدي فقال: أوَّل ولد ولدته في الدنيا قابيل.

وزعمت المجوس أنَّ آدم لم يخالف في النكاح بين البطنين، وأنَّ صلاحَ الحالِ في تزويج الرجلِ بأخته والأم بولدها، وسنذكر عقائدهم في موضعه إن شاء الله تعالى.

والأصحُّ خلاف ما زعموا، لإجماع الأمَّة على أنَّ آدم كان ينكح ولده أيَّ أخواته شاء، إلَّا التي ولدت معه فإنَّه لا تحلُّ له، احتياطاً منه في الفروج، ونظراً لذوات المحارم، ومراعاة للنسل، فإنه كان قليلاً، وما فعل ذلك إلَّا لضرورة عدمه، فلما كثروا حَرُم ذلك.

فصل ومن الحوادث
في أيام آدم عليه السَّلام قتل قابيل هابيل

قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾[المائدة: ٢٧] النبأ: الخبر، وابنا آدم هما هابيل وقابيل في قول عامَّة العلماء وابن عمر وابن عباس ومجاهد وقتادة. والقربان: فُعْلان من القربة.

وسبب القصَّة ما حكاه السُّديُّ عن أشياخه، ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعطاء وغيرهم عن ابن عباس، قالوا: كانت حوَّاء تلِد لآدم توأماً، في كل بطن غلام وجارية، إلا شيث فإنها ولدته مفرداً، وكان جميع ما ولدته حوَّاء أربعين ما بين ذكر وأنثى في عشرين بطناً، ثم بارك الله في نسل آدم، فلمَّا كان بعد مئة سنة من هبوطه إلى الدنيا ولدت له قابيل وتوأمته إقليما، ثم هابيل وتوأمته، وكان آدم إذا شبَّ الغلام زوَّجه جارية البطن الآخر، وزوَّج جارية هذا البطن غُلامَ البطن الآخر، وكان الغلام يتزوَّج أيَّ أخواتِه شاء إلا توأمته التي وُلِدت معه، فإنَّها لا تحلُّ له، وذلك لأنه لم يكن لهم نساء

يومئذٍ إلَّا أخواتهم وأُمُّهم حوَّاء.

فلمَّا ولدت قابيل وتوأمته وهابيل وتوأمته وبينهما سنتان ـ وقيل: خمس سنين ـ وقابيل أكبر، فلمَّا بلغا، أَمرَ الله آدمَ أن ينكح قابيل ليوذا أخت هابيل، وينكح هابيل إقليما أخت قابيل، وكانت أخت قابيل من أجمل النِّساء وأحسنهنَّ. فقال قابيل: لا أفعل وأنا أحقُّ بأختي، وُلِدت معي في بطن واحد، ونحن من أولاد الجنَّة، وهابيل وأخته من أولاد الأرض.

فقال آدم: فقرِّبا قرباناً فأيُّكما تُقبل قربانه فهو أحقُّ بها.

ومعنى قول قابيل نحن من أولاد الجنة: ما حكينا عن ابن إسحاق عن بعض أهل الكتاب الأوَّل: أنَّ آدم كان يغشى حوَّاء في الجنَّة قبل أن يصيب الخطيئة، فحملت بقابيل وتوأمته، ولم تجد وحماً ولا وصباً ولا طلقاً ولا دماً لطهارة الجنَّة، فلمَّا أهبطا إلى الأرض تغشَّاها فحملت بهابيل وتوأمته، فوجدت الوحم والوصب والطلق والولادة. وقد أجبنا عن هذا فيما تقدَّم(١).

وكان قابيل صاحب زرع، وهابيل صاحب غنم، فقرَّب قابيل ميرة من طعام من أردأ زرعه، وأَضمر في نفسه وقال: ما أُبالي أتُقُبِّل منِّي أم لا؟ بعد أن لا يتزوَّج هابيل أختي، وقرَّب هابيل كبشاً سميناً من خيار غنمه ولبناً وزبداً، وأضمر في نفسه الرِّضى بالله تعالى، فوضعا قربانهما على الجبل، وكانت القرابين إذا كانت مقبولة نزلت نارٌ بيضاء من السَّماء فأكلتها، وإذا لم تقبل لم تنزل النار وأكلتها السِّباع والطيور.

وقام آدم يدعو، وقيل: كان غائباً بمكة، فنزلت النار فأكلت الحَمَل والزُّبد واللبن، ولم تأكل من قربان قابيل شيئاً لأنه لم يكن زكيَّ القلب وكان هابيل زكي القلب. قال ابن عباس: فلم يزل الكبش يرعى في الجنَّة حتَّى فدي به إسماعيل(٢)، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾[المائدة: ٢٧].

واختلفوا في أي موضع كان القربان: فعامَّة العلماء على أنه كان بالهند في المكان

---

(١) في ذكر أولاد آدم عليه السلام.

(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٣٧ـ١٣٨، وانظر «المنتظم» ١/ ٢٢١ـ٢٢٢.

الذي أهبط فيه آدم، وقال ابن قتيبة في «المعارف»: كان بمنى، فمن ثم صار بها مذبح الناس اليوم[١].

قلت: وهذه من أوهام ابن قتيبة، فإنه لم يوافقه على هذا أحد، وإنَّ الواقعة كانت بالهند.

فإن قيل: فلمَ رُفِعتْ هذه النَّار وهذه الأمَّة أحوج إليها من غيرها؟ فالجواب: إنَّما ارتفعت لطفاً بهذه الأمَّة لأنها كانت تُميِّز الخالص من الكدر، فرُفِعت لئلَّا يفتضح المردود منها.

وقال مجاهد: ولما تقبِّل قربان هابيل بقي في نفس قابيل، وأضمر له السُّوء، وعزم آدم على الحجِّ إلى مكَّة، فلمَّا أراد أن يتوجَّه إلى مكَّة قال للسَّماء: يا سماء، احفظي ولدي بالأمانة فأبت، فقال للأرض والجبال والشجر: احفظوا ولدي بالأمانة فأبوا فقال لقابيل: احفظ ولدي بالأمانة، فقال: نعم، وسترى في ولدك إذا رجعت ما يسرُّك، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾[الأحزاب: ٧٢] ومعناه: حين حمل الأمانة ثم خان[٢].

فلمَّا غاب آدم جاء قابيل إلى هابيل وهو في غنمه فقال له: لأقتلنَّك، قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّ الله تقبَّل قربانك وردَّ قرباني، وتنكح أختي الحسناء بغير أمري، وأنكح أختك الدَّميمة، وقد تحدَّث النَّاس أنَّك أفضلُ منِّي، وأنَّ ولدك يفخرون على ولدي. فقال له هابيل: فما ذنبي؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧] الذين يتَّقون المعاصي والشرك والقتل ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨﴾[٣][المائدة: ٢٨].

فإن قيل: فهلَّا دفع هابيلُ عن نفسه؟ فالجواب: ما ذكره مجاهد قال: كان قد كُتِبَ

---

(١) «المعارف» ١٧.

(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٣، وفي التفسير (١١٧١٥) من طريق السدي، عن أبي مالك وأبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود وناس من الصحابة.

(٣) انظر «عرائس المجالس» ٤٦.

عليهم في ذلك الوقت إذا أراد الرجل قتلَ رجل أن يتركه ولا يمتنع منه[١].

وقد فسَّره ابن عباس وابن عمر فقالا: وايم الله إن كان المقتول لأشدَّ الرجلين، ولكن منعه التَّحرُّج أن يبسط يده إلى أخيه[٢]. وروي: أنه قتله غيلة.

قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾[المائدة: ٣٠] واختلفوا في معناه على أقوال:

أحدها: أنَّ معناه تابعت، قاله ابن عباس.

والثاني: شجعته، قاله مجاهد.

والثالث: زيَّنت، قاله قتادة.

والرابع: رخَّصت، قاله الحسن، واختاره الأخفش.

والخامس: فعلت من الطَّوع، والعرب تقول طاع لهذه الظبية أصولُ هذا الشجر، حكاه الزجَّاج عن المبرِّد[٣].

وقال السُّديُّ: جاءه إبليس فحرَّضه على قتله.

واختلفوا في كيفيَّة قتله على أقوال:

أحدها: أنَّه أتاه وهو نائم فلم يدر كيف يقتله، فَتَمَثَّلَ له إبليس وأخذ طيراً فوضع رأسه على حجر ثم شدخ رأسه بحجر آخر، وقابيل ينظر إليه، فعلَّمه القتل، ففعل بهابيل كذلك، قاله ابن جريج.

والثاني: أنه رماه بالحجارة حتَّى قتله، قاله ابن عباس.

والثالث: أنه رضخ رأسه بصخرة، رواه مجاهد عن ابن عباس.

والرابع: أنه اغتاله فقتله، قاله الربيع[٤].

واختلفوا في موضع مصرعه على أقوال:

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩٢.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩١.

(٣) انظر «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ١٦٧. وانظر هذه الأقوال في «زاد المسير» ٢/ ٣٣٧.

(٤) انظر تفسير الطبري (١١٧٤٦ ـ ١١٧٥١).

أحدها: على جبل ثور، قاله ابن عباس.

والثاني: بالبصرة مكان الجامع، روي عن جعفر الصادق[١].

والثالث: على عَقَبة حِراء، حكاه ابن جرير الطَّبري صاحب التَّاريخ[٢].

وحكى المسعودي أنه قتله بدمشق[٣]، وكذا ذكر الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» في حرف القاف فقال: كان قابيل يسكن خارج باب الجابية، وأنَّه قتل أخاه في جبل قاسيون عند مغارة الدَّم[٤].

وذكر هابيل في حرف الهاء وكرّر هذا وقال: قتله أخوه قابيل بقاسيون عند مغارة الدَّم؛ وكان هابيل يسكن سطرا.

قال: وقال كعب: الدَّم الذي على قاسيون[٥] هو دم ابن آدم[٦].

قلت: والعجب من هذه الأقوال، وقد اتفق أرباب السِّير أن الواقعة كانت بالهند، وأن قابيل اغتنم غيبة أبيه بمكَّة، فما الذي أتى به إلى جبل ثور وحراء، وهما بمكة؟ وما الذي أتى به إلى البصرة ولم تكن أُسِّست؟ وأين الهند ودمشق؟ وهل كانت دمشق وجدت أو الجابية أو سطرا؟ وهل وضعت التواريخ إلا لتميِّز بين الصحيح والسَّقيم والسَّالم والسَّليم؟ اللّهم غفراً.

ثم قد اتفقوا على أن قابيل لما قتل أخاه بالهند هرب في جبال الهند، وقيل: إلى اليمن[٧]، وهلك هناك لما نذكر.

واختلفوا في معنى قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ﴾ على أقوال:

أحدها: من الخاسرين في الدنيا والآخرة، فخسرانه في الدنيا أنَّه أسخط والديه

---

(١) انظر «زاد المسير» ٢/ ٣٣٨.

(٢) «تاريخ الطبري» ١/ ١٤٣.

(٣) «مروج الذهب» ١/ ٦٤.

(٤) «تاريخ دمشق» ٤٩/ ٢٤.

(٥) من قوله: بقاسيون عند مغارة الدم . . . إلى هنا ليس في (ب).

(٦) «تاريخ دمشق» ٦٤/ ٢، ٧.

(٧) انظر تاريخ الطبري ١/ ١٤٣، والمنتظم ١/ ٢٢٥.

وبقي بلا أخ، وخسرانه في الآخرة أنَّه أسخط ربَّه وصار إلى النَّار، قاله ابن عباس.

والثاني: من الخاسرين للحسنات، قاله الزجَّاج.

والثالث: من الخاسرين أنفسهم لأنَّه أهلكها، والمعنى واحد.

قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[المائدة: ٣١] قال ابن عباس: لما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به، وهو أول قتيل قتل في الدنيا، فقصدته السِّباع، فحمله على عاتقه، فكان إذا مشى تخطُّ يداه ورجلاه في الأرض، وإذا قعد وضعه إلى جانبه. قال مجاهد: وضعه في جرابٍ وحمله على ظهره وقد أروح، والطير عاكفة عليه تنتظر متى يلقيه حتى تأكله.

واختلفوا في مدَّة حمله إيَّاه: فقال مجاهد: حمله على عاتقه مئة سنة، وقال مقاتل: ثلاثين سنة، وروي عن مقاتل ثلاثة أيام[1]، وقيل: سنة[2]، وكل هذه الأقوال فيها مقال. والأصحُّ أنَّه حمله أياماً، لأنَّ آدم عاد من مكَّة بعد الحادثة بيسير.

فبعث الله غرابين فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه، ثم حفر له بمنقاره ورجله، وقابيل ينظر إليه، ثم دفنه. فقال قابيل: ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِى﴾[3] وفيه قولان: أحدهما عورته، والثاني جيفته[4]، وهو أعم، وفيه دليل على أن الميت عورة. ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾[المائدة: ٣١].

فإن قيل: أليس النَّدَم توبة فلم لم تقبل منه؟ فالجواب من وجوه:

أحدها: أنَّ النَّدم توبة لهذه الأمَّة لا لغيرها، لأنَّ الله خصَّها بخصائص لم تكن لسواها، قاله الحسين بن الفضل.

والثاني: أنه ندم على حمله لا على قتله.

والثالث: أنه ندم على فوات أخيه لا على ركوب الذَّنْب[5].

(١) انظر «زاد المسير» ٢/ ٣٣٨.

(٢) انظر البداية والنهاية ١/ ٩٤.

(٣) انظر تفسير الطبري ٦/ ١٩٨.

(٤) انظر «زاد المسير» ٢/ ٣٣٨.

(٥) انظر «زاد المسير» ٢/ ٣٣٩.

وقال ابن قتيبة: حمله حتى أتى به وادياً من أودية الهند فكَمَنَ فيه. وصاح به صائح من السَّماء قتلته لعنك الله، فهرب من الصَّوت حتى اختلط بالوحش.

وحكى أبو إسحاق الثعلبي قال: لما قتل قابيل أخاه رجفت الأرض بما عليها سبعة أيَّام، ثم شربت الأرض دمه كما تشرب الماء، فناداه الله عزَّ وجلَّ: يا قابيل، أين أخوك هابيل؟ فقال: ما كنتُ عليه رقيباً. فقال: إنَّ صوت دم أخيك ليناديني من الأرض فلمَ قتلته؟ وأين دمه؟ فحرَّم الله على الأرض يومئذٍ أن تشرب دماً بعده.

وذكر الثعلبي عن ابن عباس قال: لما قتل قابيل أخاه كان آدم بمكَّة فتغيَّرت الثمار والأطعمة، وحمضت الفواكه، ويبست الشجر، وأمرَّ الماء، واغبرَّت الأرض(١).

وفي رواية: وبلغ آدم ما صنع قابيل فجاء على أثر ذلك فوجد الأرض قد نَشِفَتْ(٢) دمه، فلعن الأرض، فمن أجل ذلك أن الأرض لا تَنْشِفُ دماً(٣)، وأنبتت الشوك من أجل لعنته.

وفي رواية: لما يبس الشجر وتغيَّرت الدنيا قال آدم: حدث في الأرض حَدَثٌ، فأتى الهند فوجد قابيل قد قتل هابيل وهرب إلى اليمن، فأقام آدم مئة سنة لم يضحك حزناً على هابيل(٤).

قال أبو إسحاق الثعلبي فأنشأ يقول وهو أول من قال الشِّعر [الوافر]:

تغيَّرتِ البلادُ ومَن عليها ... فوَجهُ الأرض مغبرٌّ قبيحُ
وبُدِّل أهلُها أثَلاً وخَمْطاً ... بجنَّاتٍ من الفِردوس فِيح
تغيَّر كلُّ ذي لونٍ وطعم ... وقلَّ بشاشةُ الوَجهِ الصبيحِ(٥)
وقابيلٌ أذاق الموت هابِلْ ... فواحزَني لقد فُقِدَ المليحُ

(١) انظر «عرائس المجالس» ٤٧.
(٢) نَشِفَت: شربت.
(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩٩.
(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩٠.
(٥) في البيت إقواء، ورواه السيرافي بنصب بشاشة على التمييز مع قطع التنوين ورفع الوجه وصفته، وانظر الكلام على البيت في «أمالي ابن الشجري» ٢/ ١٦٤، و«الإفصاح» للفارقي ص ٦١.

ومـالـي لا أجـود بـسـكـب دمـعٍ وهـابـيـلٌ تـضـمّـنـه الـضـريـحُ
وجـاءت شَـهـلَـةٌ[1] ولـهـا رنـيـنٌ لـهـابِـلِـهـا وقـابِـلِـهـا تـصـيـحُ
لـقـتـل ابـن الـنَّـبـيِّ بـغـيـر جُـرمٍ فـقـلـبـيَ عـنـد قـتـلـتـه جـريـحُ
أرى طـولَ الـحـيـاةِ عـلـيَّ غـمًّـا فـهـل أنـا مِـن حـيـاتـيَ مـسـتـريـحُ
وجـاوَرْنـا عـدُوًّا لـيـس يـفـنـى لـعـينـاً مـا يـمـوت فـنـسـتَـريـح[2]

وقالت حوَّاء:

دع الـشـكـوى فـقـد هـلـكـا جـمـيـعـا بـهـلـكٍ لـيـس بـالـثَّـمـن الـرَّبـيـحِ
ومـا يُـغـنـي الـبـكـاءُ عـنِ الـبـواكـي إذا مـا الـمـرء غُـيِّـبَ فـي الـضَّـرِيـحِ
فـبَـكِّ الـنَّـفـسَ مـنـك ودَع هَـواهَـا فـلـسـت مُـخـلَّـداً بـعـد الـذَّبِـيـحِ

فأجابهما إبليس شامتاً بهما:

تـنـحَّ عـن الـبـلاد وسـاكِـنِـيـهـا فـقـد فـي الـخُـلـدِ ضـاقَ بِـك الـفـسِـيحُ
وكـنـتَ بـهـا وزَوجُـكَ فـي رخـاءٍ وقـلـبُـكَ مـن أذى الـدنـيـا مـريـحُ
فـمـا زالـت مُـكَـايَـدَتـي ومَـكـرِي إلـى أن فـاتـك الـخُـلـدُ الـمـرِيـحُ
فـلـولا رحـمـةُ الـجـبَّـارِ أضـحـى بـكـفِّـك مـن جِـنـانِ الـخُـلـدِ رِيـحُ

هذه صورة ما ذكر الثعلبي[3]، وهو شعر ركيك مزحوف، وقد أنكر ابن عباس هذا الشعر.

حدَّثني أبو القاسم الحَبِيبي بإسناده عن ميمون بن مهران عن ابن عباس أنَّه قال: من قال إنَّ آدم قال شعراً فقد كذب على الله ورسوله، ورمى آدم بالمأثم. إنَّ محمداً ﷺ والأنبياء كلهم في النهي عن الشعر سواء، قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩] ولكن لما قَتل قابيلُ هابيلَ رثاه آدم، وهو سريانيٌّ، وإنما يقول الشعر من يتكلم بالعربيَّة.

فلما قال آدم مرثيته في ابنه هابيل ـ وهو أوَّل شهيد كان على وجه الأرض ـ قال آدم

(١) الشَّهلَةُ: العجوز.
(٢) انظر «عرائس المجالس» ٤٧ـ٤٨، وتفسير الثعلبي ٢/ ٤٤٠، ومروج الذهب ١/ ٦٥-٦٦.
(٣) انظر «عرائس المجالس» ٤٨.

لشيث: يا بني، إنَّك وصيَّتي[١] فاحفظ هذا الكلام ليُتَوارث فيرق الناسُ عليه. فلم يزل ينتقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان، وكان يتكلَّم بالعربية والسُّريانية، وهو أوَّل من خطَّ بالعربيَّة، وكان يقول الشعر، فنظر في المرثية فإذا هي سجع فقال: إنَّ هذا ليقوم شعراً فردَّ المؤخَّرَ إلى المقدَّم والمقدَّم إلى المؤخَّر فوزنه شعراً، وما زاد فيه ولا نقص منه، تحرياً في ذلك فقال الأبيات.

وذكر الحسن البصري: أنَّ الرجلين اللذين قرَّبا القربان كانا من بني إسرائيل، وكانا أخوين[٢].

وهذا قول ضعيف، والعلماء على خلافه. والدَّليل عليه ما روى الأئمَّة:

فقال أحمد بن حنبل بإسناده عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُقتَلُ نَفسٌ ظُلماً إلَّا كَانَ على ابنِ آدمَ الأوَّلِ كِفْلٌ منها، لأنَّه أوَّلُ من سنَّ القَتلَ». أخرجاه في «الصحيحين»[٣]. والكفل: الضعف. وكذا قوله تعالى: ﴿يُوَٰرِى سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ﴾ [المائدة: ٣١] دليل عليه، لأنه لو كان من بني إسرائيل لعرف الدَّفن.

وهل قتل قابيل هابيل بعد تزويج أخت قابيل أم لا؟ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه قتله قبل ذلك لئلا يدخل بها.

والثاني: أنَّه قتله بعدما دخل بها غيرة وحَنَقاً وحسداً له، والله أعلم.

ذكرُ ما تجدَّد من الحوادث بعد قتل هابيل

حكى الثعلبي عن سالم بن أبي الجعد قال: أقام آدم باكياً حزيناً مئة سنة لا يضحك، ثم جاءته الملائكة فعزَّته لما نذكر[٤]. وفي التوراة: أنه كان لهابيل لما قتل عشرون سنة، ولقابيل خمسة وعشرون سنة.

وكان قتله إيَّاه في يوم الثلاثاء.

---

(١) كذا في النسختين، وفي «عرائس المجالس» ٤٧، وصيي.

(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٤٣.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٦٣٠)، والبخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٧٢٠)، وانظر «عرائس المجالس» ٤٨.

قال أبو إسحاق الثعلبي بإسناده عن أنس بن مالك، قال: سئل رسول الله ﷺ عن يوم الثلاثاء فقال: «ذاك يومُ دمٍ، فيه حاضت حوَّاء، وفيه قَتل ابن آدم أخاه»[١]. إلَّا أنَّ الحديث غريب.

وقد روينا في صدر الكتاب في حديث أبي هريرة الذي أوَّله: «خَلقَ اللهُ التُربةَ يَومَ السَّبتِ...» وفيه: خلق المكروه يوم الثلاثاء[٢].

فصل في تعزية الملائكة لآدم عليه السَّلام

روى مجاهد عن ابن عباس قال: لما أقام آدم مدَّة لم يضحك وهو حزين جاءته الملائكة من عند الله بالتعزية، فتقدَّم جبريل فقال له: حيَّاك الله وبيَّاك، أي: أضحَكَكَ، ثم أقاموه من العزاء بأمر الله تعالى فصار ذلك سنة.

فصل في هلاك قابيل وعذابه

قال علماء السِّير: لما وصل آدم إلى الهند هرب قابيل إلى اليمن، وقيل: إلى الصين، وأفرد آدم أولاده عن أولاده، فهربوا إلى الجبال، وأمر أولاده أن لا يناكحوهم ولا يحاضروهم، فاعتزلوهم في رأس جبل لا ينزل إليهم منهم أحد ولا يصعد إليهم أحد، فقاموا على ذلك زماناً حتى مات آدم، فنزلوا من الجبل واختلطوا ببنيه، وشاع فيهم الفساد والزِّنا. وكان نسل قابيل صِباح الوجوه، وهم الذين أهلكهم الله تعالى بالطوفان[٣] لما نذكر.

وأمَّا قابيل فقد اختلفوا في صورة هلاكه على أقوال:

أحدها: أنَّه لما طرده أبوه كان لا يراه أحد من ولده إلا رماه، فأقبل ابن له أعمى ومعه ولد يقوده، فقال الابن لأبيه الأعمى: هذا أبوك قابيل، فرماه الأعمى فقتله، فقال له ابنه: ويحك قتلت أباك، فرفع الأعمى يده فلطم ابنه فمات. فقال الأعمى: ويلي قتلت أبي برميتي، وابني بلطمتي[٤]، قاله مجاهد.

(١) تفسير الثعلبي ٤/ ٥٣، وذكره القرطبي ٧/ ٤١٩.

(٢) راجع فصل في حد الزمان والأيام.

(٣) انظر «عرائس المجالس» ٤٨، و«التبصرة» ١/ ٣٥، و«المنتظم» ١/ ٢٢٥.

والثاني: أنَّ الله رماه بحجر من السَّماء فقتله، قاله مجاهد.

والثالث: أن جماعة من أهل عدن قتلوه ولم يعرفوه.

والرابع: أنه علقت إحدى رجليه بساقها إلى فخذه ووجهه في الشمس حيث ما دار دارت، وعليه في الصَّيف حظيرة من نار، وفي الشِّتاء حظيرة من ثلج إلى يوم القيامة، رواه ابن جريج عن مجاهد[١].

والخامس: أنه معلق بين السماء والأرض يعذب بأنواع العذاب.

والسادس: أنَّه معلَّق على جبل بالهند يصيح: العطش، ولا يسقى إلى يوم القيامة، قاله الربيع بن أنس.

والسابع: أنَّه عُلِّق برجليه ثمانين سنة، ثم خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: إنَّا لنجد في الكتب أنَّ ابن آدم القاتل يقاسم أهل النار شطرَ عذابهم قسمة صحيحة[٢]، أشار إلى قوله ﷺ: «لا تُقتَلُ نفسٌ ظُلماً إلَّا كَانَ على ابنِ آدم كِفلٌ مِنها...» الحديث[٣].

وقال سالم بن أبي الجعد: مكتوب في التوراة: قال الله: ليذهبْ قابيل طريداً شريداً مذموماً مرعوباً. فذهب وبيده أخته إقليما، فوصل إلى عدن، فأتاه إبليس فقال: إنّما أكلت النَّار قربان أخيك لأنه كان يعبدها ويخدمها، فانصب لها بيتاً واعبدها فيه أنت وولدك، ففعل، فهو أوَّل من عبد النَّار في الأرض[٤].

ولم يبق لهما نسل، أمَّا القاتل فهلك نسله بالطوفان، وأمَّا المقتول فلم يعقب. وإنَّما الناس كلهم من شيث، فإنه ولد بعد قتل هابيل لما نذكر.

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٤٣ عن ابن عباس.

(٢) انظر «التبصرة» ١/ ٣٦.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩٤، وانظر «التبصرة» ١/ ٣٦.

(٤) سلف قريباً.

(٥) انظر «التبصرة» ١/ ٤٨، و«المنتظم» ١/ ٢٢٩.

فصل

واختلفوا فيمن عبد النار بعد قابيل فقال قوم: الملك جم لأنَّه قال: هي تشبه الشمس والكواكب.

وقال الشرقي بن القطامي: أوَّل من عبدها بعد قابيل أفريدون، قال: هي واسطة بين الربِّ العظيم وخلقه، وبها شرف العالم وبقاؤه، وبنى لها بيتاً بطوس وبيتاً ببخارى وبيتاً بسجستان.

وقال عمرو بن بحر الجاحظ: أوَّل من عَبَدها بَهْمَن بن اسفنديار، وبنى لها بيتاً بأرَّجَان ثمَّ تتابع الفرس على عبادتها، لما نذكره.

فصل في وصية آدم ووفاته

روى وهب بن مُنبِّه عن ابن عباس قال: لما كثُرت ذريَّة آدم اجتمع إليه من ولده وولد ولده أربعون ألفاً، فجعلوا يتحدَّثون وهو ساكت، فقالوا له: يا أبانا، ما بالنا نتكلَّم وأنت ساكت؟ فقال: يا بنيَّ، إنَّ الله لمَّا أهبطني من جواره عهد إليَّ فقال: يا آدم أقللْ من الكلام حتى ترجع إلى جواري(١).

فلما احتضر دعا شيثاً فأوصاه وعهد إليه، وكتب وصيَّته، وأمره أن يخفيها عن بني قابيل، وخصَّ شيثاً وولده بها، وعلَّمه عبادة الخالق، وساعات الليل والنَّهار، والحدود والشرائع، وقال: يا بنيَّ، إنَّ الله أوحى إليَّ أني مُخرِج منك نوري الذي أريد به السُّلوك في الأرومات الشريفة، والقنوات الطاهرة، والأصلاب النقية، والأرحام الزَّكيَّة، أباهي به الأنوار، وأجعله خاتم الأنبياء، وأجعل أمَّته خير الأمم، وفيهم الخلفاء والعلماء، أقدس الأرض بوجودهم. وإني غشيت حوَّاء وانتقل ذلك النُّور إليك، فاحتَفِظ به. وذكر كلاماً في هذا المعنى(٢).

وكان آدم يحبُّ شيثاً حُبًّا شديداً، وخصوصاً منذ انتقل إليه النور، وكان شيث أَسْرى

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٧/ ٤٤٧.

(٢) انظر «مروج الذهب» ١/ ٦٧ـ٦٨.

ولدِ آدم وأتمَّهم وقاراً وأحسنهم صورة، متجلِّلاً بالنُّور، متوشِّحاً بالجلال، عليه الهيبة والوقار والسَّكينة(١) وكان نورُ النبيِّ ﷺ يشرق في وجه شيث، وفي وجوه ولده إلى زمان عبد الله بن عبد المطَّلب. قال ابن عباس: فذلك قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[الشعراء: ٢١٩].

قال مجاهد: وكان في وصيَّته لشيث: يا بنيَّ، لا تركن إلى الدنيا، فإني ركنت إلى الجنَّة فأُخرجت منها، ولا تعمل عملاً بغير مشورة، فإني لو شاورت الملائكة قبل أن آكل من الشجرة لما أكلت منها، ولا تستشيرنَّ امرأة، فإنَّ حوَّاء أمُّك فعلت بي ما فعلت، ومتى اضطرب في قلبك أمر فلا تفعله، فإني كنت مضطرب القلب عند أكلي من الشجرة.

وقال ابن عباس: مرض آدم أحد عشر يوماً.

وقال أحمد بن حنبل بإسناده عن الحسن قال: رأيت شيخاً يتكلم بالمدينة فسألت عنه فقالوا: هذا أبيُّ بن كعب، فقال: لما احتضر آدم، جاءته الملائكة فعرفتهم حوَّاء، فلاذت به، فقال آدم: إليك عنِّي فإنَّما أُتيت من قبلك، خلِّي بيني وبين ملائكة ربِّي، فقبضوه(٢).

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل بإسناده عن سعيد بن المسيَّب عن أُبيِّ بن كعب قال: لما احتضر آدم قال لبنيه: أشتهي من ثمار الجنَّة أو قِطْفاً منها، فذهبوا يطلبون له منها، فاستقبلتهم الملائكة ومعهم الأكفان والحَنوط والفؤوس والمساحي والمكاتل، فقالوا: ارجعوا فقد قضى أبوكم. وكانت حوَّاء قد لاذت به عند الموت تبكي فقال: إليك عني فإنما أتيت من قبلك خلِّي بيني وبين ملائكة ربي، فقبضوه وغسَّلوه وكفَّنوه ثم حفروا له وألحدوه، وقالوا: يا بني آدم، هذه سنَّة أبيكم.

وقال أُبيُّ بن كعب موقوفاً عليه ومرفوعاً: لما وضع آدم على سريره قال شيث لجبريل: تقدَّم فصلِّ عليه، فقال جبريل: إنما أنت أولى بالصَّلاة على أبيك، فتقدَّم

---

(١) انظر «مروج الذهب» ١/ ٦٨.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في «المسند» عن الحسن عن عُتَيِّ بن ضمرة، عن أبي بن كعب (٢١٢٤٠) وإسناده ضعيف.

شيث فصلى وكبَّر ثلاثين تكبيرة، وقال: أربع للصَّلاة، وست وعشرون إظهاراً لفضل آدم، فقال له جبريل: أصبت[١].

وقيل: إنَّ جبريل تقدَّم فصلى عليه، والملائكة خلفه، وبنوه خلفهم[٢].

وقال عطاء الخراساني: بكت الخلائق على آدم سبعة أيام[٣].

واختلفوا في سنِّه على أقوال:

أحدها: أنه توفي يوم الجمعة لستٍّ خلَون من نيسان في السَّاعة التي خلقه الله فيها بعد ألف سنة[٤]. قاله مجاهد، وذكره القضاعي في «تاريخه».

والثَّاني: أنه عاش تسع مئة سنة وثلاثين سنة[٥]، حكاه كعب عن التوراة.

والثالث: ثمان مئة سنة، قاله مقاتل.

والرابع: ألف سنة إلا أربعين عاماً، حكاه الضحاك عن ابن عباس[٦].

وقال ابن عباس: ما مات آدم حتى رأى في ولده الزِّنا والفساد وشرب الخمر[٧].

واختلفوا في **المكان** الذي توفي فيه على أقوال:

أحدها: بالهند على جبل سرنديب الذي أهبط عليه، وعليه قبره، رواه أبو صالح عن ابن عباس[٨]، وهو قول الكلبي.

والثاني: أنه توفي بمكَّة وكان قد حجَّ في تلك السَّنة، ومعه ولده شيث فدفنه في أبي قبيس في غار يقال له: الكنز[٩]، قاله مقاتل.

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٦٠-١٦١ عن ابن عباس.
(٢) أخرجه ابن الجوزي في المنتظم ١/ ٢٢٧-٢٢٨.
(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٧/ ٤٥٩.
(٤) انظر «مروج الذهب» ١/ ٦٩.
(٥) انظر «مروج الذهب» ١/ ٦٩، وانظر «البداية والنهاية» ١/ ٩٩.
(٦) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ١/ ٢٩.
(٧) انظر «المنتظم» ١/ ٢٢٨.
(٨) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٦١.
(٩) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ١٦١.

والثالث: أنه توفي بمنى، ودفن بمسجد الخيف وعفي قبره، قاله عطاء، وحكاه عن ابن عباس قال: حملته الملائكة من منى إلى الكعبة فصلَّت عليه عندها، وطافوا به، ثم ردُّوه إلى مسجد الخيف فدفن به[١].

قال: ولما ركب نوح عليه السَّلام السفينة حمله معه، فلمَّا انقضى الطوفان أعاده إلى أبي قبيس فدفنه في غار الكنز، وقيل: دفنه بالبيت المقدَّس[٢].

قال عبد الله بنُ أبي فراس: قبر آدم في مغارة فيما بين بيت المقدس وقبر الخليل عليه السَّلام، فرأسه عند مسجد إبراهيم، ورجلاه تحت صخرة بيت المقدس، وبينهما ثمانية عشر ميلاً[٣].

قلت: فأقصى ما كان طول آدم ستِّين ذراعاً، فكيف يكون طوله ثمانية عشر ميلاً؟!

وقال أبو جعفر الطَّبري: أوَّل من مات في الأرض آدم، يعني على فراشه، وإلَّا فقد قُتِلَ هابيل قبله[٤].

فصل في حجِّ آدم عليه السَّلام

روى مجاهد عن ابن عباس قال: حجَّ آدم من الهند إلى مكَّة ثمانين حجَّة.

وقال محمد بن إسحاق: بلغنا أن آدم لما أهبط إلى الأرض حزن على ما فاته مما كان فيه من نعيم الجنَّة، فبوَّأه الله تعالى البيت الحرام، وأمره أن يقيم به، فلم تزل مكَّة داره حتى قبضه الله بها[٥].

وقد روي في هذا المعنى حديث مرفوع إلى النبيِّ ﷺ: أنبأنا به غير واحد عن ميمون ابن مهران قال: قال ابن عباس: كان البيت قبل هبوط آدم ياقوتة من يواقيت الجنَّة، وكان له بابان من زمرد أخضر: باب شرقي وباب غربي، وفيه قناديل من الجنة. فلما

(١) انظر «المنتظم» ١/ ٢٢٨.
(٢) انظر «عرائس المجالس» ٥٠.
(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٧/ ٤٥٨.
(٤) «تاريخ الطبري» ١/ ١٤٣.
(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٧/ ٤٢٥.

أُهبِطَ آدم أنزل معه الحجر الأسود وهو يتلألأ نوراً، فأخذ آدم الميثاق من ولده وأودعه الحجرِ الأسود. ولما وصل إلى مكَّة تلقَّتهم الملائكة فقالوا: يا آدم، برّ حجّك، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي سنة. قال: فما كنتم تقولون حوله؟ قالوا: كنا نقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فقالها آدم في الطَّواف. ثم قال آدم: يا ربِّ، اجعل لهذا البيت عُمَّاراً من ذُرِّيَتي، فقال الله: إني معمِّره بنبيّ من أمَّتك اسمه إبراهيم أتخذه خليلاً وأعلِّمه المناسك. فقال: يا ربِّ، أسألك مَنْ حجَّ هذا البيتَ من ذرِّيَّتي لا يشرك بك شيئاً أن تدخله الجنَّة، فقال: يا آدم، ومن مات في الحرم لا يشرك بي شيئاً أدخلته الجنَّة.

إلَّا أنَّ جدي رحمه الله ذكر هذا الحديث في «الواهية»[١]. والظاهر أنه موقوف على ابن عباس[٢].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (٩٣٧) وفيه محمد بن زياد، وهو كذاب خبيث يضع الحديث.
(٢) أخرجه موقوفاً على ابن عباس الأزرقي في «أخبار مكة» ١/ ٤٥.

فصل في ذكر شيث بن آدم عليهما السَّلام

روى مجاهد عن ابن عباس قال: هو بالسُّريانيَّة شث وشاث، وبالعبرانيَّة شيث[١].

وذكر أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذُري قال: لما قتل هابيل ولدت حوَّاء لآدم شيثاً، فقال آدم: هذا هبةُ الله وخلفُ صدقٍ من هابيل، فسماه شيثاً[٢]، وشيث اسم أعجمي.

وحكى أرطاة بن المنذر قال: بلغني أنَّ حوَّاء حملت بشيث الوصيِّ حتَّى نبتت أسنانه، وكانت تنظر إلى وجهه من صفائه في بطنها، ولما وضعته أخذته الملائكة فمكث عندهم أربعين يوماً، فعلَّموه المهن ثم ردُّوه إليها[٣].

وقال مقاتل: أنزل الله على شيث سبعين صحيفة، وإليه تنتهي أنساب بني آدم لأنَّ جميع النَّسل انقرض، ولم يبق إلا نسله.

قال: وأنزل الله مئة كتاب وأربعة كتب[٤]، منها صحائف آدم وشيث. وكان شيث أفضل أولاد آدم وأشبههم بأبيه، ووليَّ عهده، وهو أبو البشر كلِّهم، وهو الذي بنى الكعبة بالطِّين والحجارة، يعني أنَّه رثَّ فجدَّده. ولما مات آدم جاء إلى مكَّة فأقام بها يحجُّ ويعتمر. وضمَّ صحفه إلى صحف أبيه، وعمل بالجميع[٥].

وقال الرَّبيع بن أنس: ولد بعد هابيل بخمس سنين.

وفي أيَّام شيث توفِّيت حوَّاء بعد آدم بسنة، فدفنها مع آدم في غار الكنز، فلما جاء الطوفان حملهما نوح في السفينة ثم ردَّهما إلى مكانهما[٦].

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٥٢.
(٢) أنساب الأشراف ١/ ٥.
(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» ٢٣/ ٢٧٣، وفيه بقية بن الوليد، صدوق كثير التدليس، وقد عنعن.
(٤) وقد ورد فيه حديث مرفوع أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١).
(٥) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ١٦٢.
(٦) انظر «المنتظم» ١/ ٢٢٩.

فصل في وفاة شيث

قال علماء السِّير: أقام يُعمِّر الأرض ويقيمُ الحدود على المفسدين كما كان يفعل أبوه حتَّى توفي، وهو ابن تسع مئة سنة واثنتي عشرة سنة(١).

واختلفوا في أي مكان توفي فيه على أقوال:

أحدها: بالهند، قاله مجاهد.

والثاني: بمكَّة، لأنَّه لم يفارقها بعد وفاة أبيه، قاله مقاتل.

قال: وكان له لما مات آدم مئتان وخمسون سنة. ودفن بغار الكنز مع أبويه(٢). وببلد بعلبك مزارٌ يقال: إنه قبره، والله أعلم.

فصل في ذكر ولده أَنُوش

قال علماء السِّير: ولد أنوش في زمن آدم، فلمَّا احتضر شيث أوصى إليه، وأخبره بالنُّور الذي انتقل إليه منه، وأمره أن ينبِّه ولده على هذا الشَّرف كابراً عن كابر وسلفاً بعد سلف(٣). فقام ولده أَنُوش بعده بالأمر أحسن قيام، ودبَّر الرَّعايا وعمل بالشَّرائع على ما كان عليه أبوه. وهو أوَّل من غرس النَّخل وزرع الحَبَّ(٤) وعاش تسع مئة وخمسين سنة، وقيل وخمسة وستين(٥)، وفي التوراة: تسع مئة وخمس سنين(٦) وولد أَنُوش بعدما مضى من عمر والده شِيث ست مئة وخمس وستون سنة، وفي التوراة: بعد أن مضى له ست مئة وخمس سنين.

(١) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ١٦٣، وانظر «مروج الذهب» ١/ ٧١.
(٢) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ١٦٢.
(٣) انظر «مروج الذهب» ١/ ٦٩-٧٠.
(٤) انظر «أخبار مكة» للفاكهي ٣/ ٢٢٣، و«المنتظم» ١/ ٢٣٠.
(٥) انظر «تاريخ اليعقوبي» ١/ ٩.
(٦) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ١٦٣، و«المنتظم» ١/ ٢٣٠.

فصل في ولده قَيْنَان

قالوا: ولما احتضر أَنُوش أوصى إلى ولده قَينَان وأخبره بالسرِّ الذي أودعه فيه، وأم قينان نعمة أخت أبيه أَنُوش، وهي بنت شيث. وولد قينان بعد مضي سبعين سنة من عمر أنوش، ومن عمر آدم ثلاث مئة ونيِّف[1]، وانتقل النُّور إلى قَينَان، فسار بسيرة أبيه ثم مات وله تسعمائة وعشرون سنة[2].

فصل في ولده مَهلائِيل

ولما احتضر قينان أوصى إلى ولده مَهلائِيل بن قَيْنَان، وأعلمه بالنُّور الذي انتقل إليه، فسار بالنَّاس سيرة أبيه وعاش ثمان مئة سنة[3]. وقال جدي في «أعمار الأعيان»: عاش مَهْلائِيل ثمان مئة وخمساً وتسعين سنة[4].

قال أبو حنيفة الدِّينوَري: كثر ولد آدم في زمان مَهْلائِيل، وكان سيِّد ولد آدم في عصره والقائم بأمورهم، فوقع التنازع بين يدي آدم في الأوطان، ففرَّقهم في مهابِّ الرياح الأربع، وخصَّ ولد شيث بأفضل الأرض، فأسكنهم العراق وما والاه.

وفي التوراة: أن مولد مَهْلائِيل بعد أن مضى من عمر آدم ثلاث مئة وخمس وتسعون سنة[5].

فصل في ذكر يَرد

بذال معجمة وقيل: بدال مهملة، وهو ابن مَهْلائِيل، أوصى أبوه إليه، وأخبره بالسرِّ المكنون، وانتقال النور إليه وكان حسن السِّيرة، بنى المدن واستخرج المعادن، وهو الذي بنى بابل والسُّوس، وهما أولُ مدينة بنيتا على وجه الأرض من المدن، وملك الأقاليم السَّبعة، وأمر الناس ببناء المساجد، وقتل السِّباع الضَّارية، وذبح البقر والغنم.

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٦٣.
(٢) انظر «تاريخ اليعقوبي» ١/ ٩، و«مروج الذهب» ١/ ٧٢.
(٣) انظر «مروج الذهب» ١/ ٧٢.
(٤) «أعمار الأعيان» ١٢٦.
(٥) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ١٦٤.

وقال جدِّي رحمه الله في «أعمار الأعيان»: عاش يرذ تسع مئة وتسعاً وستين سنة[١]، وقيل: ألف سنة.

قال ابن إسحاق: عاش مهلائيل بعدما ولد له يرذ ثمان مئة سنة وثلاثين سنة[٢].

وفي التوراة: أن يرذ ولد بعدما مضى من عمر آدم أربع مئة وستون سنة[٣].

واختلفوا فيه:

فقال البلاذُري: هو اليارذ بألف، وقال مقاتل: هو أوشنج، وقال ابن مسكويه في «تجارب الأمم»: هو أوشهنج بهاء[٤].

والأصحُّ أنَّ يرذ غير أوشنج، لأنَّ طائفة زعموا أنَّ أوشنج ولد آدم لصلبه، وأنه عاش أربعين سنة. أمّا يَرْذ فقد عاش زماناً طويلاً.

وفي أيام يَرْذ عُبدت الأصنام[٥].

ذكر هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال: لما مات آدم جعله شيث في مغارة بالهند في الجبل الذي أهبط عليه، فكان بنو شيث يعظِّمونه ويدورون حوله، حتَّى مات شيث[٦]. وقام يَرْذ بن مَهْلائيل، فقال بنو قابيل: إنّ لبني شيث دَوَاراً يدورون حوله ويُعظِّمونه وليس لكم شيء، فتصوَّر لهم إبليس في صورة شيخ، فنحت لهم صنماً على صورة آدم، فهو أوَّل صنم عمل وعبد في الأرض[٧].

وذكر الشَّرقي بن قُطامي قال: كان وَدٌّ وسُواع ونسر ويَغوث ويَعوق قوماً صالحين، فماتوا في شهر، فجزع عليهم أهاليهم وأقاربهم، فقال لهم رجل من ولد قابيل: هل لكم أن أعمل لكم خمسة أشخاص على هيئتهم؟ قالوا: نعم، فنحت لهم خمسة أصنام

(١) «أعمار الأعيان» ١٢٧.
(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٦٤.
(٣) انظر «تاريخ الطبري» ١/ ١٦٤.
(٤) أنساب الأشراف ١/ ٥، و«تجارب الأمم» ١/ ٥.
(٥) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٧٠ عن ابن عباس.
(٦) «الأصنام» ص ٥٠، ومن طريقه أخرجه ابن الجوزي في «المنتظم» ١/ ٢٣١-٢٣٢.
(٧) «الأصنام» ص ٥١، ومن طريقه أخرجه ابن الجوزي في «المنتظم» ١/ ٢٣٢، وليس فيه ذكر إبليس.

على هيئة أشخاصهم، ونصبها لهم، فعظَّموها. وذهب ذلك القرنُ وجاء آخر فعبدوها، وقالوا: ما عظَّم أوَّلونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم. فلم يزالوا على ذلك حتى بعث الله إدريس فنهاهم عن عبادتها، فلم ينتهوا، حتى بعث الله نوحاً فأهلكوا بالطُّوفان، وأحدرها الطوفان من الهند إلى الحجاز، فأرست على جُدَّة، فتقاسمها العرب بعد ذلك، فكان وَدٌّ بدُومَة الجَنْدَل لكلب، وسُواع لهُذَيل، ونَسْر لحِمير آل ذي الكَلاع، ويَغوث لمُراد وغطفان بالجُرف، ويَعوق لهَمْدان[1].

وذكر ابن إسحاق: أن الأصنام إنما عبدت في زمن أنوش.

وذكر قوم من الأوائل: أن سبب عبادة الأصنام أن طوائف من الهند والصين كانوا يزعمون أن الباري سبحانه وتعالى جسم، وأن الملائكة أجسام، وأنهم احتجبوا بالسماء، فدعاهم ذلك إلى أنهم اتخذوا تماثيل وأصناماً على صور تخيَّلوها بالوهم في الباري سبحانه والملائكة مختلفة[2] القدود والأشكال، وصوَّروا أيضاً على صور بني آدم من مات من الفضلاء والحكماء، وأقاموا يعبدونها ويقربون لها القرابين وينذرون لها النذور، وأقاموا على ذلك مدّةً حتَّى نبَّههم بعض حكمائهم وقال لهم: هذه الأفلاك والكواكب أقرب الأجسام إلى الباري، وهي حيَّة ناطقة، وما يتجدَّد في العالم إنما هو بتأثيرها، فعظِّموها فهي أولى بالتَّعظيم لتقرِّبكم إلى الباري.

فأقاموا على ذلك مدَّةً، فلما رأوا بعضها يطلع نهاراً وبعضها ليلاً ويخفى نهاراً، صنعوا لها أصناماً على هيئتها، وأشهر ما بنوا لها سبعة هياكل على عدد الكواكب السَّبعة، وجعلوا لكل كوكب هيكلاً وصنماً.

فالهيكل الأول: للقمر بنى له مِنُوشِهْر بيتاً بالنُّوبَهار، وسادنه يدعى بَرمك، وإليه ينسب يحيى بن خالد البرمكي. وكتبوا على بابه: أبواب الملوك تحتاج إلى عقل وصبر ومال. فمرَّ به بعض الحكماء فكتب تحته: الواجب على الحرِّ إذا كان معه إحدى الثلاث أن لا يقرب أبواب الملوك.

---

(١) انظر «الأصنام» ص ٥١ـ٥٨، و«المنتظم» ١/ ٢٣٢.

(٢) في (ب) و(م): مختلفي.

والهيكل الثاني: لعُطارد على جبل بأصبهان يقال له: مارس، بناه بعض الأوائل.

والهيكل الثالث: للزُّهَرة بناه الضحاك بغُمْدان، ولم يزل حتى أخرب في أيام عثمان ابن عفَّان رضي الله عنه.

والهيكل الرابع: هيكل للشمس بفَرْغانة بناه كاوس الملك، وسمَّاه كاوسان، ولم يزل حتى أخربه المعتصم.

والهيكل الخامس: للمريخ بالهند على جبل يقال له: شَرْوان، أخربه المأمون.

والهيكل السادس: للمشتري ببلاد الصين، وهو الذي ذكرناه في العجائب، وحوله المقاصير، وهو عظيم.

والهيكل السابع: لزُحَل، وهو بأقصى الصِّين، ويقال: إنه قائم إلى هلمَّ جرًّا. وزعم قوم أنه بالحجاز وهو الكعبة، ولهذا طال بقاؤها على ممر الدهور والعصور، لأنَّ زحل تولَّاها ومن شأنه البقاء والثبوت(١).

❁ ❁ ❁ ❁

(١) انظر مروج الذهب ٤/ ٤٢-٤٤، ٤٧-٥٢.

فَصل في ذِكْر إدريس عَلَيْهِ السَّلام[١]

قال ابن إسحاق: واسمه أَخْنُوخ، وقيل: إنه أَخْنُوخ[٢]، وهو ابن يَرْد بن مَهْلائيل بن قَيْنان بن أَنُوش بن شِيْث بن آدم عليه السلام.

وقال الجوهري: إنما سمي إدريس لكثرة درسه لكتاب الله تعالى[٣].

وأوحي إليه وأبوه يَرْد حيٌّ قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦].

قيل: إنَّ الله تعالى ذكره في موضعين[٤].

قال ابن سعد بإسناده عن ابن عباس قال: وهو أوَّل من أعطي النبوة، وبعثه الله بعد آدم، وهو خَنُوخ بن يَرْدْ[٥].

قلت: وهو وهم. أوَّل نبيٍّ بعد آدم شِيث، وقد ذكرنا أنَّ الله تعالى أنزل عليه صحائف.

والصَّابئة تسمِّي إدريس هِرمِس، ومعناه: حكيم الحكماء، وتزعم أنه يملك الدنيا وينزل من السماء، وقد أشار إلى هذا أبو العلاء المعرِّي فقال[٦] [الطويل]:

إذا دخل الهِرماسُ جِلِّقَ والياً ... فما كَذَبَتْ فيما تَقولُ الهَرَامسُ

يعني الحكماء.

وقال ابن إسحاق: وُلد إدريس في حياة آدم، وقد مضى لآدم ست مئة واثنان وعشرون سنة، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة.

وهو أوَّل من خطَّ بالقلم وخاط الثياب، وكان الناس يلبسون الجلود.

---

(١) انظر قصته في «تاريخ اليعقوبي» ١/ ١١، و«تاريخ الطبري» ١/ ١٧٠-١٧١، ومروج الذهب ١/ ٧٣، و«عرائس المجالس» ص ٥٠، و«المنتظم» ١/ ٢٣٣، و«الكامل» ١/ ٦٢، و«البداية والنهاية» ١/ ٩٩.

(٢) في (ب): (خَنُوخ).

(٣) «الصحاح»: (درس).

(٤) الموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[الأنبياء: ٨٥].

(٥) «الطبقات الكبرى» ١/ ٤٠.

(٦) البيت في «لزوم ما لا يلزم» ٢/ ٨٦١.

وهو أوَّل من سبى بني قابيل واسترقَّ منهم.

وأوَّل من طرز الطرز، وخطَّ بالرَّمل، ونظر في علم النُّجوم وسمَّاها، ووضع أسماء البروج والكواكب السيَّارة ورتَّبها في بيوتها، وأثبت لها الشَّرف والوبال والحضيض والأوج والتربيع والتثليث والتسديس والمقاربة والمقابلة والرجوع والاستقامة ونحو ذلك، لأنه صعد إلى السماء، وألهمه الله تعالى معرفة هذه الأشياء.

وهو أوَّل من جاهد في سبيل الله.

وقال ابن عباس، موقوفاً عليه ومرفوعاً: أربعة من الرُّسل سُريانيُّون: آدم وشِيث وخَنُوخ ونوح(١).

قال: وجَمَع بني آدم ووعظهم وأمرهم ونهاهم عن مداناة بني قابيل، فخالفه جماعة فقتل وسبى واسترقَّ(٢).

قال: وكان يصعد له في اليوم من العمل ما لا يصعد لبني آدم في السنة، فحسده إبليس وعصاه قومه، فرفعه الله إليه، وأدخله الجنَّة، ورُفِعَ وهو ابن ثلاث مئة وخمس وستين سنة(٣).

قال جدي رحمه الله في «التبصرة»: وعاش أبوه بعد رفعه إلى السماء مئة وخمساً وثلاثين سنة(٤).

ذكر رفعه

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾[مريم: ٥٧] اختلفوا في المكان الذي رفع إليه على أقوال:

أحدها: في السماء الرابعة، وفي «الصحيحين» من حديث مالك بن صَعصَعة في

(١) ذكره ابن الجوزي في تلقيح فهوم أهل الأثر ص٤ من كلام ابن عباس، وأخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ١٧١ وابن حبان في صحيحه (٣٦١) من حديث أبي ذر ﷺ، وإسناده ضعيف جداً.

(٢) انظر «التبصرة» ١/ ٥٠.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٤٠، وابن الجوزي في «المنتظم» ١/ ٢٣٣.

(٤) «التبصرة» ١/ ٥٠.

المعراج أن النبي ﷺ رآه فيها(١).

والثاني: أنه في السماء السادسة، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أنه في السماء السابعة. حكاه أبو سليمان الدمشقي(٢).

والرابع: في الجنَّة، قاله ابن زيد. وقيل: إنَّ الجنَّة في السماء الرابعة.

وفي سبب صعوده إلى السّماء أقوال:

أحدها: أنه كان يصعد له في كل يوم من العمل مثل ما يصعد لجميع بني آدم في زمانه، فتعجَّبت منه الملائكة، واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن ربَّه في زيارته فأذن له، فهبط إليه في صورة بني آدم وصحبَهُ، وكان إدريس يصوم الدهر، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه، فأبى أن يأكل معه، فعل ذلك ثلاث ليالٍ، فأنكره إدريس وقال له: مَن أنت؟ فقال: لا تخف، أنا ملك الموت، استأذنت ربي في زيارتك وصحبتك فأذن لي، فقال له إدريس: لي إليك حاجة، فقال: وما هي؟ قال: تقبض روحي. فأوحى الله تعالى إليه: اقبض روحه، ففعل، ثم ردَّها الله إليه بعد ساعة، فقال له ملك الموت: وما الفائدة في سؤالك؟ فقال: لأذوق الموت وكربه فأكون له أَشدَّ استعداداً. ثم قال له إدريس: لي إليك حاجة أخرى، قال: وما هي؟ قال: ترفعني إلى السماء وتريني الجنَّة والنار، فأذن الله له في رفعه إلى السماء، وسأل ملك الموت أن يسأل مالكاً خازن النار أن يفتح له باباً من أبوابها، ففعل، فرآها فقال لملك الموت: كما أريتني النّار فأرني الجنة، فذهب به إلى الجنَّة فأدخله إيَّاها، فلما طاف فيها قال له ملك الموت: اخرج منها وعدْ إلى مستقرِّك، فتعلَّق بشجرة فقال: لا أخرج منها، فبعث الله ملكاً فحكم بينهما، فقال له الملك: ما لك لا تخرج؟ فقال: لأنّ الله تعالى يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقد ذقته. وقال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] وقد وردتها، وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[الحجر: ٤٨] فلست أخرج. فأوحى الله إلى ملك الموت: بإذني دخل وبأمري فعل ما فعل، فخلِّ عنه، فتركه، قاله

(١) البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

(٢) انظر الأقوال في «زاد المسير» ٥/ ٢٤١.

ابن عباس ووهب، ورواه زيد بن أسلم مرفوعاً[(١)].

فإن قيل: فمن أين لإدريس هذا وكيف علم ما في كتابنا، وهو لم ينزل عليه؟!

فالجواب: إنَّ الله تعالى ألهم إدريس ما فعل، وعلَّمه وجوب الورود وامتناع الخروج من الجنَّة.

وفيه أيضاً دليل على قدم القرآن، وأنهم قد كانوا يعرفون بعضه من اللَّوح المحفوظ، وإليه وقعت الإشارة بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨-١٩] وإن لم يكن فيها بهذه العبارة.

والقول الثاني: أنَّ بعض الملائكة أحبّ إدريس، فنزل إليه وصادقه، فلمّا عرف إدريس أنه ملك قال له: هل بينك وبين ملك الموت معرفة؟ قال: نعم، هو أخي من الملائكة، قال: هل تستطيع أن تنفعني عنده ليرفق بي عند الموت؟ قال: نعم، اركب على جناحي، ففعل فصعد به إلى السماء فمرَّ به على ملك الموت فرآه جالساً على كرسي وبين يديه لوح فيه أسماء الخلائق، فكلَّمه في إدريس، فقال له: تكلمني في رجل قد محي اسمه من الصحيفة ولم يبق من أجَله إلا طرفة عين؟ فمات إدريس بين جناحي الملك، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثالث: إن إدريس سار يوماً في الشمس فأصابه وهجها، فقال: اللَّهمَّ خفِّف ثقلها عن من يحملها، فأصبح الملك الموكَّل بها وقد خفَّ عنه ما لم يعهده، فسأل الله عن ذلك فأخبره بدعاء إدريس له، فقال: يا ربِّ اجمع بيني وبينه واجعلْ بيننا خُلَّة، فأذن له فأتاه فقال له إدريس: اشفع لي إلى ملك الموت أن يؤخِّر أجلي، فقال: إنّ الله لا يؤخِّر نفساً إذا جاء أجلها، ولكن أكلِّمه فيك فما استطاع أن يفعل معك فعل. ثم حمله الملك على جناحه فوضعه عند مطلع عين الشمس، ثم أتى ملك الموت فقال: لي إليك حاجة، فقال: وما هي؟ قال: صديق لي من بني آدم أسألك أن تؤخِّر أجله، فقال: ليس لي إلى ذلك سبيل، ولكن إن أحببت أخبرتك متى يموت، فنظر في اللوح وقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً. قال: وكيف؟ قال: لأني لا أراه يموت إلا

---

(١) انظر عرائس المجالس ٥٠-٥١، والمنتظم ١/ ٢٣٤.

عند مطلع عين الشمس. قال: فإني خلَّفته هناك، قال: انطلق فما تجده إلا ميتاً، فرجع فوجده ميتاً. رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال كعب(١).

قال: وذكر إدريس في التوراة فقال: أخنوخ أحسن خدمة الله فرفعه الله إليه.

وقال ابن عباس: أربعة من الأنبياء أحياء فيهم أرواحهم: إدريس وعيسى في السماء وإلياس والخضر في الأرض وكلهم يموتون إلَّا إدريس، فإنه إذا مات الخلق أصابته دهشة، فيبقى في عداد الموتى وهو حيٌّ.

وقيل: هو الذي يجيب الله تعالى إذا مات الخلق وقال: ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾[غافر: ١٦] فيقول إدريس: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[غافر: ١٦].

وقال كعب الأحبار: في التوراة: إنه استجاب لإدريس ألف إنسان ممن دعاهم إلى الله تعالى.

وقال الهيثم بن عدي: أوصى إدريس قبل رفعه إلى ابنه مُتُّوشَلْح ـ بالحاء المهملة، ويقال: مُتُّوشَلْخ بالخاء المعجمة ـ وكان صالحاً، ولد على مضي ثلاث مئة سنة من عمر والده إدريس.

ومُتُّوشَلْخ أول من ركب الجمل، وسلك طرائق الخير والصلاح. ولما عهد إليه إدريس عرفه بالنور الذي انتقل إليه منه، وعاش تسع مئة وتسعاً وستين سنة، ويقال: إنَّه ولد في حياة آدم.

وأقام إدريس في النبوة مئة وخمساً وستين سنة، ورفعه وهو ابن أربع مئة وخمسٍ وستين سنة، كذا روى الضحاك عن ابن عباس، وحكاه الخطيب.

فصل في ولد مُتُّوشَلْخ

منهم لَمْك أبو نوح عليه السلام، وبربر وروس وصقلاب، وإليه تنسب الصقالبة، وصابىء وإليه تنسب الصابئة، ولم ينتقل النور إلا إلى لَمْك ويقال لامَك، لما نذكر، وإليه أوصى مُتُّوشَلْخ.

---

(١) انظر الأقوال الثلاثة في زاد المسير ٥/ ٢٤١ ـ ٢٤٣، والتبصرة ١/ ٥٠ ـ ٥٢.

ذكر الجاهلية الأولى

واختلفوا فيهم: فقال الشعبي: كانوا بين عيسى ومحمّد صلى الله عليهما وسلّم[١].

قال أبو العالية: بين داود وسليمان[٢].

وقال مجاهد: بين إبراهيم وموسى.

وقيل: في زمان نمرود، كانت المرأة تلبس قميصاً من الدّرّ فيرى باطنها فيه، ثم تمشي وسط الطريق ليس عليها غيره، تعرض نفسها على الرِّجال[٣].

وروى عطاء عن ابن عباس قال: وفي زمان متوشلخ كانت الجاهلية الأولى، وهما بطنان من بني آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صِباحاً وفي النساء دَمامة، ونساء السهل صِباحاً وفي الرجال دمامة، فجاء إبليس إلى رجل من السهل فأخذ زمارة فزمر بها فظهر له منها صوت لم يسمع مثله، فاجتمع إليه الرجال والنِّساء ونزلوا من الجبل، فاختلطوا وتبرَّج النِّساء، فكثرت الفواحش حتى أغرقهم الطوفان، وفيهم يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣][٤].

وإبليس أوَّل من زمر وناح[٥].

❀ ❀ ❀ ❀

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢٢/ ٤.

(٢) انظر «تفسير البغوي» ٣/ ٥٢٨.

(٣) أورده البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٢٨ عن الكلبي.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢٢/ ٤، وقال ابن حجر في «الفتح» ٨/ ٥٢٠: إسناده قوي.

(٥) أورده الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٢) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فصل في الحوادث التي كانت في زمان إدريس عليه السلام

قصَّة هاروت وماروت

وهما اسمان سُريانيَّان لا ينصرفان للعُجمة والتَّعريف، وكانت قصتهما على ما ذكره ابن مسعود وابن عباس والمفسرون: أنَّ الملائكة رأت ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة، وذلك في زمان إدريس، فعيَّروهم بذلك، ودعوا عليهم وقالوا: يا ربنا هؤلاء الذين اخترتهم وجعلتهم في الأرض خلفاء وهم يعصونك، فقال الله تعالى: لو أنزلتكم إلى الأرض وركَّبت فيكم ما ركَّبت فيهم لارتكبتم ما ارتكبوا. فقالوا: سبحانك ما كان لنا ـ أو ما ينبغي لنا ـ أن نعصيك. فقال لهم الله تعالى: فاختاروا ملكين من خياركم أُهبطهما إلى الأرض، فاختاروا هاروت وماروت، وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم.

وقال الكلبي: قال الله: اختاروا ثلاثة، فاختاروا عزائيل، ووعزا وهو هاروت، وعزايا وهو ماروت، وإنما غُيِّر اسمهما لمَّا قارفا الذنب ـ [كما غُيِّر][1] اسم إبليس وكان اسمه عزازيل ـ قال: فركّب فيهم الشهوة وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق، ونهاهم عن القتل والزِّنا، والشرك وشرب الخمر.

فأمَّا عزائيل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال، وسأل الله أن يرفعه إلى السماء، فأقاله ورفعه، وسجد أربعين سنة لم يرفع رأسه إلى السماء حياءً من الله تعالى. وقيل: إنه بقي على حاله.

وأمَّا الآخران فإنهما ثبتا على ذلك، وكانا يقضيان بين الناس يومهما، فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم، فصعدا إلى السماء.

قال قتادة: فما مرَّ عليهما شهر حتى افتتنا.

قالوا جميعاً: وذلك أنه اختصم إليهما ذات يوم الزهرة، وكانت من أجمل النساء، قال علي كرَّم الله وجهه: كانت من أهل فارس، وكانت ملكة في بلدها، فلمّا رأياها

---

(١) في الأصول الخطية: «فركب»، وما أثبتناه من «عرائس المجالس».

أخذت بعقولهما أو بقلوبهما فراوداها عن نفسها، فأبت ثم انصرفت. ثم عادت في اليوم الثاني، ففعلا مثل ذلك، فأبت، وقالت: لا إلَّا أن تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر، فقالا: لا سبيل لنا إلى هذه الأشياء، فإنَّ الله تعالى نهانا عنها. فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها، فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت لهما بالأمس، فقالا: الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم، وأهون الثلاثة شرب الخمر، فشربا الخمر فانتشيا، ووقعا على المرأة فزنيا، فلمَّا فرغا رآهما الشاب[١] فقتلاه.

قال الرَّبيع بن أنس: وسجدا للصنم؛ فمسخ الله الزهرة كوكباً.

قال علي بن أبي طالب والسُّدي والكلبي: إنها قالت لهما: لن تدركاني حتَّى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء، فقالا: باسم الله الأكبر، قالت: فما أنتما بمدركيَّ حتّى تعلّماني إياه، فقال أحدهما للآخر: علِّمها، قال: إني أخاف الله، قال الآخر: فأين رحمة الله؟ فعلَّماها ذلك، فتكلَّمت به، وصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكباً[٢].

قال الثعلبي: فعلى قول هؤلاء هي الزهرة بعينها، وقيَّدوها فقالوا: هي الكوكبة الحمراء، واسمها بالفارسيّة أناهيد[٣]، وبالنَّبطية بيدخت. قال الثعلبي: ويدل على [صحة] هذا القول ما حدَّثنا [به] يحيى بن إسماعيل الحربي بإسناده عن عليّ ﷺ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا رأى سهيلاً قال: «لَعَنَ الله سُهَيلاً إنَّه كانَ عَشَّاراً باليمنِ، لَعَنَ الله الزُّهرَة فإنَّها فَتَنَتِ المَلَكَين»[٤].

قال: وقال مجاهد: كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لي: ارمق الكوكبة، يعني

(١) في «تفسير البغوي»: (إنسان).

(٢) النقل بالحرفية من «عرائس المجالس» ص ٥١ـ٥٣، وانظر «تفسير البغوي» ١/ ١٠٠ـ١٠١.

(٣) في الأصول الخطية: (هيد)، وفي «العرائس»: (ناهيد) والمثبت من «معجم الذهبي» ص ٧٦.

(٤) أخرجه بشطره الأول الطبراني في «الكبير» (١٨١)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣٩١)، وقال ابن الجوزي: وهذا الحديث لا يصح.

وأورد الشطر الآخر السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٩٧، وعزاه لابن مردويه. وما بين معقوفين من «عرائس المجالس».

الزهرة، فإذا طلعت فآذنّي أو فأيقظني قال: فلمّا طلعت أيقظته، فجعل ينظر إليها ويسبُّها سبّاً شديداً، فقلت: رحمك الله، أتسبُّ نجماً سامعاً لله مطيعاً؟! فقال: إنَّ هذه كانت بغيّاً فلقي الملكان منها ما لقيا[١].

قال نافع: وكان ابن عمر إذا رأى الزهرة قال: لا مرحباً ولا أهلاً[٢].

وروى أبو عثمان النَّهدي عن ابن عباس بنحو ما روى مجاهد عن ابن عمر.

وقال الثعلبي: وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا: إنَّ الزهرة من الكواكب السبعة السَّيارة التي جعلها الله قواماً للعالم وأقسم بها فقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥] وإنما كانت هذه التي فتنت هاروت وماروت امرأة تسمى الزهرة من جمالها، فلما بغت جعلها الله شهاباً، فلما رأى رسول الله ﷺ الزهرة، ذكر هذه المرأة لموافقة الاسمين فلعنها، وكذا سهيل العشَّار كان رجلاً عشّاراً باليمن، فلما رأى رسول الله ﷺ النجم ذكره فلعنه. يدل عليه ما روى قيس بن عُباد عن ابن عباس[٣] قال: كانت الزهرة امرأة فُضِّلَتْ بالحسن على الناس كما فضلت الزهرة على سائر الكواكب[٤]. ومثله قال كعب الأحبار وغيره، والله أعلم.

قلت: هذا صورة ما ذكره أبو إسحاق، ولم يبيّن ما في الأحاديث من المقال، وما رواه عن النَّبي ﷺ في الزهرة وسهيل لا يصح، وكذا ما روي عن ابن عمر. والدليل عليه أن جدي رحمه الله ذكر هذه الأخبار في «الموضوعات»:

أنبأنا جدي رحمه الله قال أنبأنا أبو منصور القزّاز بإسناده عن معاوية بن صالح عن نافع قال: سافرت مع ابن عمر فلما كان آخر اللَّيل قال: يا نافع طلعت الحمراء؟ فقلت: لا، فلمَّا طلعت أخبرته، فقال: لا مرحباً ولا سهلاً. قلت: سبحان الله، نجم سامع مطيع تقول له هذا؟! فقال: ما قلت إلّا ما سمعته من رسول الله ﷺ، أو قال: قال رسول الله: ﷺ إنَّ الملائكة قالت: «يا ربِّ كيفَ صبرُك على بني آدمَ في الخطايا

(١) «عرائس المجالس» ص ٥٣.
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٥٨.
(٣) في (ب): قيس بن عبادة عن أنس وابن عباس.
(٤) «عرائس المجالس» ص ٥٣.

والذُّنوب؟ قال: إنِّي ابتليتُهم وعافيتُكم، قالوا: لو كنَّا مكانهم ما عصيناك. قال: فاختاروا ملَكَين منكم. فلم يَأْلوا أن اختاروا هاروتَ وماروتَ فنزلا، فأَلقَى عليهما الشَّهوة، فجاءت امرأةٌ يقال لها: الزُّهرة، فوقعت في قلوبهما، فجعل كلُّ واحد منهما يخفي ما في نفسه عن صاحبه. ثم راوداها فقالت: لا أمكِّنكما حتى تعلِّماني الاسم الذي تعرجان به إلى السماء وتهبطان، فامتنعا، ثم أجابا ففعلا، فمسخها الله كوكباً، وقطع أجنحتهما. ثم سألا التوبة من ربِّهما فخيَّرهما بين عذاب الدنيا والآخرة فاختارا عذاب الدُّنيا، فأوحى الله إليهما: انطلقا إلى بابل، فانطلقا فهما منكوسان بين السماء والأرض يُعذَّبان إلى يوم القيامة». قال جدّي رحمه الله: هذا حديث لا يصحُّ[١].

وأمَّا حديث سُهيل وقول النبيِّ ﷺ: «لعن الله سُهيلاً كان عشَّاراً باليمن» فقال جدي في «الموضوعات» أيضاً: لا يصحّ مرفوعاً إلى رسول الله ولا موقوفاً، تفرَّد به إبراهيم ابن يزيد الخوزي، اتفقوا على تركه[٢].

وقد رُويت لنا هذه القصة وليس فيها أنَّ الزهرة مُسخت كوكباً: قرأتُ على شيخنا الموفَّق المقدسي رحمه الله قال: حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النَّقور، بإسناده عن عبد الله بن عمر، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إنَّ آدمَ لمَّا أَهبَطَه الله تعالى إلى الأرض قالتِ الملائِكَةُ: يا ربِّ، أتجعَلُ فيها مَن يُفسِدُ فيها ونَحن أَطْوَع لك من بَني آدَمَ؟، فقال الله: هَلمُّوا ملَكَين منكُم حتى نُهبِطَهما إلى الأرضِ فننظر كيف يعملان، فاختاروا هارُوتَ ومارُوتَ، فأُهبِطا إلى الأرضِ[٣] ومَثُلَت لهما الزُّهرة امرأة من أحسنِ البَشَر، فسألاها نَفسَها، فقالت: لا والله حتى تَتكلَّما بهذه الكلمة من الإشراك. فقالا: لا واللهِ لا نشركُ بالله شيئاً، فذهبت عنهما. ثمَّ رجَعَتْ بصبيٍّ تحملُه، فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تقتُلا هذا الصبيَّ، فقالا: لا والله لا نقتُلُه أبداً، فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحملُه، فسألاها نَفسَها فقالت: لا واللهِ حتى تَشرَبا هذا القدَحَ، فشَرِبا القدَحَ حتى سَكرا فوَقَعا عليها، وقَتَلا الصبيَّ، وتكلَّما بالكلمةِ. فلمَّا أفاقا قالت

(١) «الموضوعات» (٣٨٩).
(٢) «الموضوعات» (٣٩٠).
(٣) من قوله: فننظر كيف يعملان . . . إلى هناليس في (ب).

لهما: واللهِ ما تَرَكتُما شيئاً مما أَبَيْتماه إلَّا فَعلْتُماه حين سَكِرتما، فخيِّرا بين عذابِ الدُّنيا وعذابِ الآخرةِ فاختارا عذابَ الدُّنيا»[١].

وحكى جدّي رحمه الله قولين آخرين:

أحدهما: عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنهما جارا في الحكم.

والثاني: أنهما همَّا بالمعصية فقط، ولم يفعلاها[٢].

قلت: وهذا القول الأخير أليق بالملائكة من مباشرة الزِّنا والقتل وشرب الخمر.

قال ابن عباس: فلمَّا أمسيا همَّا بالصعود إلى السماء بعدما قارفا الذَّنب، فلم تطعهما أجنحتهما، فعلما ما حلَّ بهما، فقصدا إدريس وسألاه أن يشفع لهما إلى الله، وقالا: إنَّا رأيناك يصعد لك من العبادة[٣] مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا، فشفع فيهما، فخيَّرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا لعلمهما أنه ينقطع، فهما ببابل يعذَّبان[٤].

وروى أبو صالح عن ابن عباس، ورواه معاذ مرفوعاً والموقوف أصحّ، قال: جاءهما جبريل، فبكيا وبكى معهما، فقال لهما: ما هذه البليّة التي أجحفت بكما؟ وما هذا الشّقاء؟ فإنّ الله أرسلني إليكما يخيّركما بين عذاب الدنيا وأن تكونا عنده في الآخرة في المشيئة إن شاء عذبكما وإن شاء رحمكما، وإن شئتما عذاب الآخرة. فاختارا عذاب الدنيا وأن يكونا عند الله في المشيئة، قال: فهما ببابل فارس معلقان بين جبلين في غار تحت الأرض، يعذّبان طرفي النّهار إلى الصّيحة. فلما رأت الملائكة ذلك خفقت بأجنحتها ثم قالت: اللهمَّ اغفر لولد آدم فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾[٥][الشورى: ٥].

وفي رواية: فقالت الملائكة: عجباً لبني آدم كيف يعبدون الله تعالى ويطيعونه على

(١) «كتاب التوابين» (١) وهو عند أحمد في «المسند» (٦١٧٨)، وهو حديث باطل انظر الكلام عليه في «المسند».

(٢) ذكرهما في «زاد المسير» ١/ ١٢٤.

(٣) في (ب): «العمل».

(٤) انظر «عرائس المجالس» ص ٥٣.

(٥) أخرجه المقدسي في «التوابين» (٢) موقوفاً.

ما فيهم من الشهوات[١]!؟

وقال ابن مسعود: فداروا حول العرش أربعة آلاف سنة يعتذرون من اعتراضهم.

واختلفوا في كيفية عذاب الملكين على أقوال:

أحدها: أنهما معلَّقان بشعورهما إلى قيام الساعة، قاله ابن مسعود.

والثاني: أنهما مكبَّلان بالحديد من أقدامهما إلى رؤوسهما، قاله قتادة.

والثالث: أنَّ جبّاً مليء ناراً وجعلا فيه، قاله مجاهد[٢].

وحكى أبو إسحاق الثعلبي: أنَّ رجلاً قصدهما ليتعلَّم السِّحر، فوجدهما معلَّقين بأرجلهما، مزرقَّة عيونهما، مسودَّة جلودهما، ليس بين ألسنتهما والماء سوى أربعة أصابع، وهما يصيحان: العطش العطش!. فلما رأى ذلك هاله مكانهما، فقال الرجل: لا إله إلا الله، وقد نهيا عن ذكر الله، فلمَّا سمعا كلامه قالا: من أنت؟ فقال: رجل من أمَّة محمد ﷺ، قالا: وقد بُعث؟ قال: نعم، فقالا: الحمد لله، واستبشرا وقالا: هو نبيُّ الساعة، وقد دنا [انقضاء عذابنا][٣].

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي: ابتلاء واختبار، فينصحاه وينهياه ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة: ١٠٢] أي بتعليم[٤] السِّحر.

فصل في حكم السَّاحر والسَّاحرة

قال أبو حنيفة رضي الله عنه: يكفر السَّاحر بسحره ويقتل، أمَّا المرأة السَّاحرة فتحبس ولا تقتل، سواء كان السَّاحر من أهل الإسلام أو من أهل الكتاب.

وقال الشافعي: لا يكفر بسحره، فإن قَتَلَ بسحره قُتِلَ به.

وقال أحمد: يكفر بسحره قَتل أو لم يَقتل. وهل تقبل توبته؟ فيه روايتان.

وأمَّا ساحر أهل الكتاب فلا يقتل عند أحمد إلا أن يضرَّ بالمسلمين فيقتل، لنقض

(١) «كتاب التوابين» (٢).

(٢) انظر «عرائس المجالس» ص ٥٣_٥٤، و«زاد المسير» ١/ ١٢٥.

(٣) «عرائس المجالس» ص ٥٤. وما بين معقوفين زيادة منه.

(٤) كذا في النسختين (ب) و(ل)، وصوابه: بتعلم.

العهد، وسواء في ذلك الرجل والمرأة(١). وعنده وعند الشافعي(٢).

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ وإنما وحّد الفتنة وهما اثنان لأنَّ الفتنة مصدر، والمصادر لا تثنَّى ولا تجمع. وفي مصحف أبيٍّ بن كعب: «وما يعلِّمان من أحد حتَّى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر» سبع مرَّات وفي مصحف ابن مسعود «وما يعلّم الملكان من أحد».

وقال مقاتل: فإن أبى إلَّا التعليم قالا: ائت ذلك الرماد فَبُلْ عليه، فإن بال عليه خرج منه نور الإيمان والمعرفة ساطعاً في السماء، وينزل شيء أسود فيدخل في مسامعه شبيه الدُّخان، فذلك غضب الله تعالى وسخطه.

وقال مجاهد: الملكان لا يصِل إليهما أحد وإنما يختلف إليهما شيطان في السنة مرَّة واحدة.

ومعنى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾[البقرة: ١٠٢] وهو أن يبغض كلُّ واحد منهما صاحبه ويؤخذ عنه.

قرأت على شيخنا الموفَّق المقدسي رحمه الله: بإسناده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدمت امرأةٌ من دُومة الجَنْدَل تبتغي رسول الله ﷺ بعد موته ـ حداثةَ ذلك ـ تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السِّحر ولم تعلم به، قالت عائشة لعروة: يا ابن أختي فرأيتها تبكي حتى إني لأرحمها، تقول: إني أخاف أن أكون قد هَلَكت، كان لي زوج فغاب عنِّي، فدخلت إلى عجوز فشكوت إليها فقالت: إن فعلت ما آمرك به جعلته يأتيك، فلمَّا كان اللَّيل جاءتني بكلبين أسودين فركبتُ أحدهما، وركبَتِ الآخر، فلم يكن كثيراً حتى أتينا بابل، فإذا برجلين معلَّقين بأرجلهما فقالا: ما جاء بك؟ قلت: أتعلَّم السِّحر. فقالا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ فلا تكفري وارجعي، فأبيت، فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه، فذهبت إليه ففزعت ولم أفعل شيئاً فرجعت إليهما، فقالا: أفعلتِ؟ قلت: نعم، قالا: فما رأيت؟ قلت: لم أر شيئاً. فقالا: كذبت لم تصنعي شيئاً. ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فإنَّك على رأس أمرك. قالت: فذهبت

(١) انظر «زاد المسير» ١/ ١٢٦.

(٢) لم يتضح لنا المراد من هذه العبارة، وانظر المغني لابن قدامة ١٢/ ٢٩٩ـ٣٠٦.

فبلتُ فيه، فرأيت فارساً مقنَّعاً بالحديد خرج مني فذهب في السماء وغاب حتى ما أراه، وجئتهما وأخبرتهما، وقلت: رأيت كذا وكذا، فقالا: صدقت، ذاك إيمانك خرج منك، اذهبي.

قالت: فقلت للمرأة، والله ما أعلم شيئاً، ولا قالا لي شيئاً، قالت: بلى، لن تريدي شيئاً إلا كان، خذي هذا القمحَ فابذري، فبذرتُ، فقلت: اطلعي فطلعت، فقلت: الحقي فلحقت، فقلت: افركي ففركت، فقلت: اطحني فطحنت، فقلت: اخبزي فخبزت، فلمّا رأيت أني لا أريد شيئاً إلا كان، سُقط في يدي وندمت، والله يا أمَّ المؤمنين ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً، فسألَتْ أصحاب رسول الله ﷺ حداثة [وفاة رسول الله ﷺ]، وهم متوافرون، فما دروا ما يقولون لها وكلهم هاب وخاف وحذر أن يفتيها بما لا يعلم، إلا أنه قد قال لها ابن عباس أو بعضُ من كان عنده: لو كان أبواك حيَّين أو أحدهما.

قال ابن أبي الزناد: وكان هشام يقول: إنهم كانوا أهل الورع، ولو جاءنا مثلها اليوم لوجدَتْ نَوْكى أهلَ حُمْقٍ وتكلُّفٍ بغير علم(١).

واختلفوا في كيفيَّة جواز تعليم السِّحر على الملكين، على قولين:

أحدهما: أنهما كانا لا يتعمَّدان تعليم السِّحر، ولكنهما يصفانه ويذكران بطلانه، ويأمران باجتنابه. ولكنَّ الشَّقي يتعلَّم منهما في خلال صفتهما، ويترك موعظتهما ونصيحتهما. فعلى هذا التأويل لا يكون تعلُّم السِّحر كفراً، وإنما يكون العمل به كفراً، كما أنَّ من عرف الزِّنا ولم يفعله لم يأثم وإنما يأثم الفاعل له.

والثاني: أنَّ الله عزَّ وجلَّ امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت، وجعل المحنة في الكفر والإيمان، فيكفر بتعلُّمه، ويؤمر بترك التعلُّم، لأنَّ السِّحر كان قد كثر في تلك الأمَّة. ويزداد المعلِّمان عذاباً بتعليمه فيكون ذلك ابتلاء للمعلم والمتعلِّم. ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء كما ابتلى بني إسرائيل بالنَّهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ﴾[البقرة: ٢٤٩] ودليله قولهما: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ﴾ وهذان القولان

(١) «كتاب التوابين» (١٢٠)، وما بين معكوفين منه.

حكاهما الزَّجَّاج واعتمد عليهما[١].

قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ أي: بالسِّحر ﴿مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بقضائه وقدره وعلمه ومشيئته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾[البقرة: ١٠٢] في الدَّارين ولا ينفعهم.

فصل في الملوك الذين كانوا في زمن إدريس عليه السلام

قال علماء السِّير: كان في زمانه طَهْمُورث.

وعامَّة المؤرخين على أنَّه طهمورت، بتاء منقوطة بنقطتين من فوق.

وقال أبو الحسين ابن المنادي: طهمورب، بباء منقوطة بواحدة من تحت.

واختلفوا فيه: فقال بعضهم: هو من ولد آدم لصلبه، وقال قوم: هو ابن أوشهنج أو أوشنج ابن آدم لصلبه. وقال ابن مسكويه في «تجاريب[٢] الأمم»: طهمورث أخو أوشنج. وقال قوم: هو من ولد أوشنج، بينه وبينه عدَّة آباء[٣].

فسلك طهمورت طريق الخير، وسار بسيرة من تقدّم من ولد آدم، وملك الأقاليم السبعة، ونفى الأشرار، وهو أوّل من كتب بالفارسية[٤]، واتخذ الخيل والبغال والحمير والكلاب لحفظ المواشي، واستمرَّت أحواله على الصَّلاح، وهو أوَّل من وضع التَّاج على رأسه من الملوك، وبنى المكان الذي جدَّده سابور ملك فارس، وأقام به حتى مات عن ست مئة سنة[٥].

فصل

ثم ملك بعده أخوه جَمْ شيد، وتفسيره: سيِّد الشعاع، سمي به لأنه كان وضيئاً جميلاً، وملك الأقاليم السّبعة، وسار في الناس السيرةَ الجميلة، وزاد على أخيه

(١) «معاني القرآن» ١/ ١٨٣-١٨٤.

(٢) كذا في (ب) و(ل)، واسمه الذي طبع به: تجارب.

(٣) انظر تجارب الأمم ١/ ٦.

(٤) في (ب): «تكلم بالسُّريانية».

(٥) «تجارب الأمم» ١/ ٦ مع تصرف وزيادة، وانظر «التبصرة» ١/ ٥٢، والمنتظم ١/ ٢٣٦

طهمورت، وعمل السّيوف والسّلاح، واستخرج الابريسم والقزَّ، ورتَّب الناس أربع طبقات: طبقة مقاتلة، وطبقة علماء، وطبقة خدماء، وطبقة كتّاباً وصناعاً وحرّاثين ونحوهم. وعمل أربع خواتيم: خاتماً للحرب والشُّرطة وكتب عليه «الأناة»، وخاتماً للخراج وجباية الأموال وكتب عليه «العمارة»، وخاتماً للبريد وكتب عليه «الوحى»، وخاتماً للمظالم وكتب عليه «العدل»[(١)]. قال جدي رحمه الله في كتاب «التبصرة»: فبقيت هذه الرسوم في ملوك الفرس إلى أن جاء الإسلام[(٢)].

قلت: ولو استعملت هذه الرُّسوم في ملك الإسلام أيضاً لكان أولى، لأنَّ الرَّعية من أحوج الناس إليها.

وألزم جَمْ شيد أهل الشّرّ والفساد الأعمالَ الصَّعبةَ من قطع الصخور من الجبال، وعمل الحمَّامات، واستخراج المعادن من البحار كالذهب والفضَّة والجوهر والياقوت، وأحدث النَّيروز فجعله عيداً. ولمَّا طال عمره تجبَّر وطغى وادَّعى الرُّبوبيَّة[(٣)].

قال جدي في «أعمار الأعيان»: عاش جَمْ شيد تسع مئة سنة وستين سنة[(٤)]. فسار إليه الضحَّاك واسمه بيوراسب بن الأهبوب.

واختلفوا في الضَّحاك: فقال قوم: هو من ولد جيومرت، وقيل: إنَّ الضحَّاك ابن أخت جَمْ شيد، كان جم قد زوَّج أخته من بعض أشراف بيته فولدت الضحَّاك، وقيل: إنما زوَّجها جَمْ من الأهبوب، فولدت الضحَّاك. فسار إليه الضحَّاك، فهرب بين يديه، فتبعه فظفر به، فقال له: مثلك يدَّعي الرُّبوبيَّة فإن كنت إلهاً فادفع عن نفسك، فنشره بمنشار ـ ذكره الجوهري بنون[(٥)]. وغيره يقول: ميشار بالياء ـ وملَكَ الضحَّاك ألف سنة، وكان يدين بدين البراهمة[(٦)].

---

(١) النقل من «التبصرة» ١/ ٥٢ـ٥٣، والمنتظم ١/ ٢٣٦ـ ٢٣٧، وانظر «تجارب الأمم» ١/ ٦.
(٢) «التبصرة» ١/ ٥٣، و«تجارب الأمم» ١/ ٦.
(٣) وانظر «التبصرة» ١/ ٥٣، و«تجارب الأمم» ١/ ٧.
(٤) «أعمار الأعيان» ص ١٢٧.
(٥) «الصحاح»: (نشر).
(٦) انظر «تجارب الأمم» ١/ ٧، و«التبصرة» ١/ ٥٣، والمنتظم ١/ ٢٣٧.

وذكر هارون بن المأمون: أنَّ الضحَّاك كان في زمن نوح عليه السَّلام، وأنه أرسل إليه وإلى قومه، قال: والفرس تسمِّيه بيوراسب، والعرب تسمِّيه: الضحَّاك، وهو أوَّل الفراعنة، وملَكَ الأقاليم كلها، وكان ساحراً فاجراً، وهو أوَّل من نشر بني آدم بالمنشار وصلب، ووضع العشور، وأوَّل من غُنِّي له، وأوَّل من ضرب الدَّراهم والدَّنانير، وسنذكره في الحوادث التي كانت بين نوح وإبراهيم عليهما السَّلام واختلاف الناس فيه وقتل أفريدون له إن شاء الله تعالى.

❊ ❊ ❊ ❊